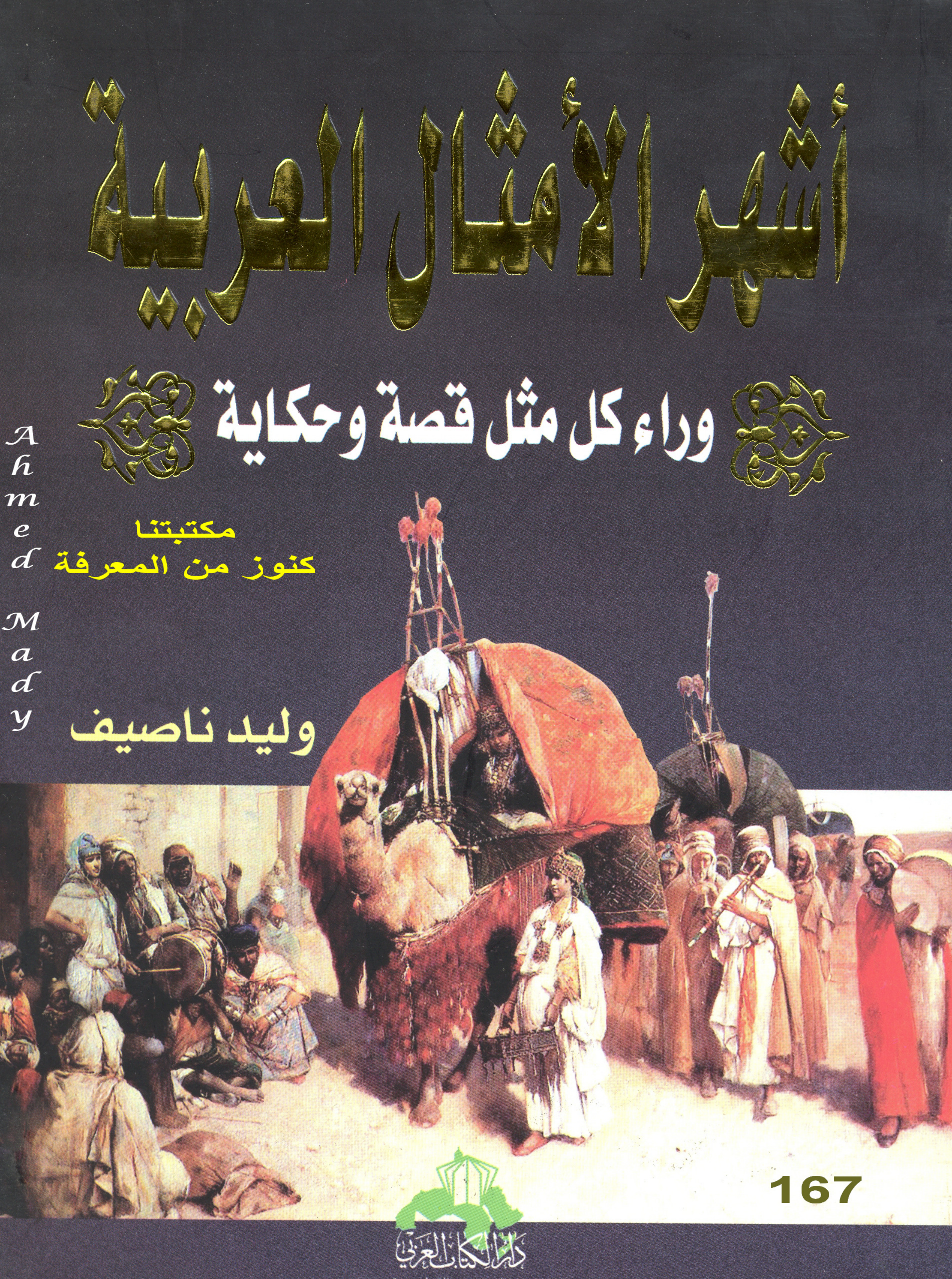

أشهر الأمثال العربية
وراء كل مثل قصة وحكاية
Ahmed Mady
مكتبتنا
كنوز من المعرفة
وليد ناصيف
167
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة
http://www.maktbtna2211.com/



الحكم والأمثال العربية..

خلاصة فلسفة العرب.. وعصارة تقاليدهم وعاداتهم، ومرآة ناصعة لصفاتهم التى تحلَوْا بها.. تظهر ما تمتع به العرب من ذكاء فطرى، وعبقرية فذة نفذوا بها فى أعماق النفس الإنسانية فعبروا عمَا فيها من كرم وبخل وشجاعة وجبن وحب وبغض ومروءة ولؤم.. فجاءت أمثال العرب وحكمهم مصابيح هدى تنير الطريق وتريح النفس.. غير أن المتعة تزداد إذا تعرفنا على القصص والمواقف التى قيل فيها المثل.. وهذا ما صنعه مؤلف هذا الكتاب.. إذ انتقى أشهر الأمثال العربية وأروعها عرض قصة كل مثل.. بأسلوب شيق رائع، وبيَّن المواضع التى يُضرب فيها المثل.. فجاء الكتاب حافلاً بالفائدة والإمتاع..

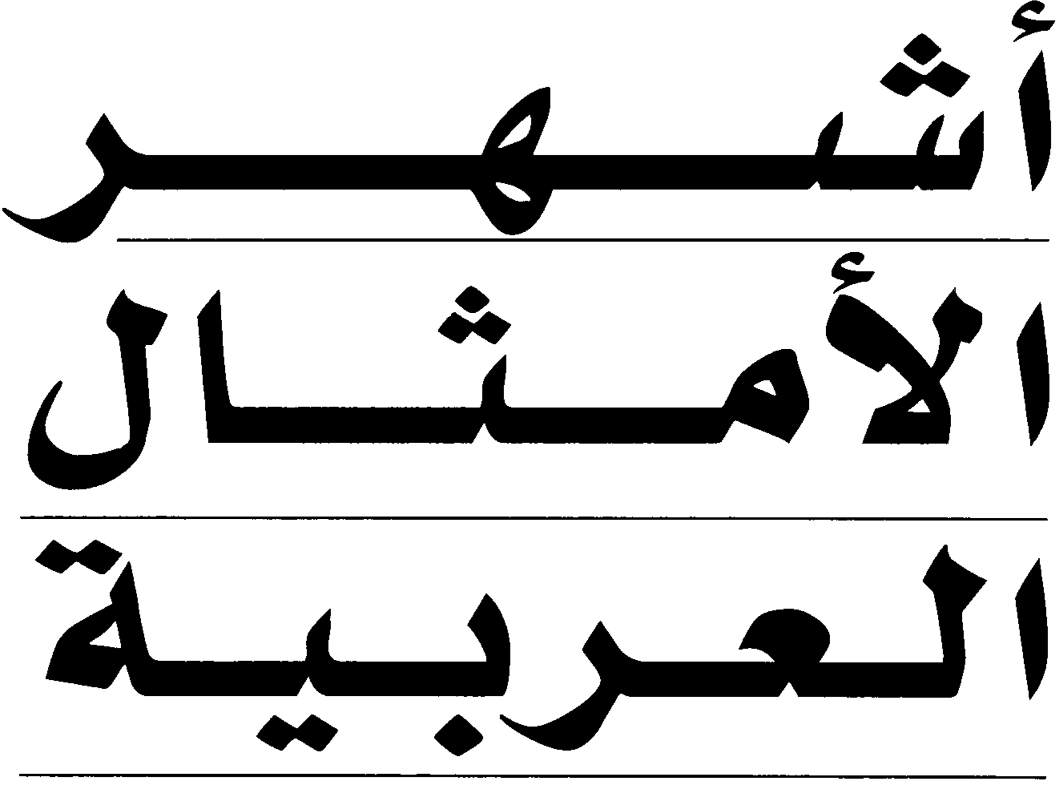
W.Salama 010 15 17 873



I.S.B.N. 977-376-281-5







أشهر الأمثال العربية

(وراء كل مثل قصة وحكمة)

◆

تأليف

وليد ناصيف

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

مقـــدمـة

الأمثال مرآة الشعوب.

خلاصة فلسفتها وعقيدتها ورؤيتها فى الحياة.

عصارة تقاليدها وعاداتها على مر السنين والقرون.

الجانب الاجتماعى فى تاريخ حياة الأوطان.

والأمثال العربية القديمة تعكس الملامح النفسية والذوقية والفكرية للبيئة العربية فى ذلك الزمان.. لا سيما وأنها مازالت تعيش فى عصورنا الحالية بكل ما تحفل من حكمة وعظة وتجربة.

وقد حفلت كتب التراث العربى بالعديد من المؤلفات التى جمعت الأمثال العربية بكل صنوفها.. وأشهر هذه الكتب (مجمع الأمثال) للميدانى.. وكتاب الأمثال للسدوسى والذى يعد من أقدم كتب الأمثال العربية التى تناولتها بالشرح والتفسير.

وهناك كتاب (أمثال العرب) للمفضل الضبى.. و(جمهرة الأمثال) لأبى هلال العسكرى.. و(الأمثال) للحمزة الأصفهانى... وغيرها... وكلها تعكس عادات الشعب العربى وسلوكه وأخلاقه وتقاليده.. فأصبحت معينا لا ينضب لدراسة المجتمع العربى ولغته وعاداته الشعبية.

وقد تناول ابن عبد ربه فى كتابه العقد الفريد أهمية الأمثال وقيمتها.. وأفرد لها فصلا مستقلا هو (الجوهرة فى الأمثال) فقال عنها: "هى وشي الكلام... وجوهر

اللفظ... وحكى المعانى... والتى تخيرتها الشعوب... وقدمتها العجم... ونطق بها فى كل زمان وعلى كل لسان".

فهى أبقى من الشعر... وأشرق من الخطابة... لم يسر شىء سيرها... ولاعم عمومها حتى قيل (أسير من مثل)... وفى ذلك قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر   يعرفه الجاهل والخابر

وقد ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه وضربها رسول الله ﷺ فى كلامه.

قال الله عز وجل: (يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له)[١]، وقال: (وضرب الله مثلا رجلين)[٢]، ومثل هذا كثير فى القرآن.

وكانت الأمثال عند العرب وسيلة للوصف والحكمة والتدليل على رأيهم ووجهة نظرهم وفلسفتهم فى الناس والعادات والتقاليد والقيم والسلوك والصفات والسمات للآخرين.

فقد ضربوا المثل ببعض الشخصيات التى اشتهرت بصفة معينة تميزها مثل قولهم: أسخى من حاتم، وأدهى من قيس، وأعز من كليب بن وائل، وأوفى من السموءل، وأبلغ من سحبان بن وائل، وأحلم من الأحنف بن قيس، وأكذب من مسيلمة الحنفى.

وحين يتمثلون بالحيوانات يقولون: أشجع من أسد، وأمضى من ليث، وأبصر من عقاب.

أما حين يتمثلون بمظاهر الطبيعة والكون حولهم، فيقولون: أهدى من النجم، وأسمح من البحر، وأمضى من السيل.

وهناك أمثلة تحض على صفات جيدة فى الناس مثل الحض على كتمان السر، فيقال: صدرك أوسع لسرك، وقيل لأعرابى: كيف كتمانك السر ؟ فقال: "ما صدرى إلا قبر".

وحول إنجاز الوعد قالوا: أنجز حر ما وعد، من أخر حاجة فقد ضمنها، وعن الحزم قالوا: غثك خير لك من سمين غيرك ومثل قولهم: "قد جنت عليهم براقش" وبراقش كلبة لحى من العرب مربهم جيش ليلا ولم ينتبهوا لهم، فنبحت "براقش" فدلت عليهم.

وإذا كان هناك العديد من الكتب التى جمعت أمثال العرب، فإن من أشهرها كتاب (مجمع الأمثال) لمؤلفه "أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى" المعروف "بالميدانى"، والمتوفى عام ٥١٨ هجرية، وهو من أمهات الكتب العربية، وهو مرجع فى الاطلاع على روايات الأمثال العربية المختلفة وشتى تفسيراتها وأصولها، فهو أوفى مرجع فى هذا الباب، والذى يعد موسوعة مصغرة لحياة العرب فى الجاهلية والإسلام ولذلك اعتمدنا عليه فى الكثير من تصحيح وضبط الكثير من الأمثال العربية القديمة.

ولكن كيف كان منهجنا فى هذا الكتاب ؟

بعد اطلاعنا على العديد من كتب الأمثال العربية الضخمة وجدناها حافلة بالروايات والأحاديث والأشعار، فضلا عن التكرار والاستطرادات التى يمكن أن تبعث فى نفس القارئ الملل والنفور، ولذلك رأينا اختيار المثل وحكايته العربية وكيف كان أصل المثل وعلام يرمى ويدل.

ولذلك استبعدنا الكثير من الأمثال الصعبة التى تربك القارئ فى تفسير مفرداتها، كما أبعدنا الأمثال القبيحة التى تستخدم الألفاظ الخارجة وتستعين

بالمفردات الجارحة وأردنا أن نقدم للقارئ تحفة من أجمل الحكايات والتى كان وراء كل مثل فيها العظة والحكمة والمتعة الجمالية.

بعد أن نقيناها من حوشي القول، وغريب اللغة، واستغنينا عن الاستطرادات والعنعنات ليجئ هذا الكتاب ليروى لنا كل قصة وحكاية وراء الأمثال العربية التى تربت عليها أجيال كثيرة وأخذت منها المثل العربية، والقيم والعادات الجميلة، وفى نفس الوقت نفرتهم من العادات والصفات الذميمة والقبيحة، كالبخل والحسد وإخلاف الوعد فأصبحت الأمثال العربية، مدرسة لسجايا العرب وصفاتهم الحميدة حتى نربى عليها أجيالنا الجديدة ليرضعوا أرفع القيم، وأسمى السجايا والصفات.

وبعد، فليكن هذا الكتاب عن الأمثال العربية بمثابة حديقة وافرة للمعرفة والفلسفة وجماليات الحكمة العربية ومرآة تعكس السجايا العربية، نأخذ منها الصالح، ونترك الطالح، لنردد قول الشاعر القديم:

نبـنـى كمـا كانـت تبـنـى   أوائلنا ونفعـل مثلمـا فعلـوا

فلتكن حديقة الأمثال... منبعا ثرا للحكمة والجمال والثراء الروحى

وليد ناصيف



القسم الأول

وراء كل مثل حكاية

١ - أَهْلُكَ أَعْلَمُ بِكَ .

كان لأبى الأسود الدؤلى دكان إلى صدر الجبل يجلس فيه وحده، ويضع بين يديه مائدة، يدعو إليها كل من يمر به، وليس لأحد أن يجلس، فينصرفون عنه.

فمر به صبى من الأنصار، فقال له أبو الأسود: هلم إلى الغداء يا فتى ! فأتى إليه، فلم ير موضعا يجلس فيه، فتناول المائدة فوضعها فى الأرض؛ ثم قال: يا أبا الأسود، إن كان لك فى الغداء حاجة فانزل، وأقبل الفتى يأكل، حتى أتى على جميع ما فى المائدة، وسقطت آخر الطعام من يده لقمه على الأرض فأخذها، وقال: لا أدعها للشيطان ! فقال أبو الأسود: والله ما تدعها للملائكة المقربين، فكيف تدعها للشياطين ؟ ثم قال له: ما اسمك ؟ قال: لقمان فقال أبو الأسود: أهلك كانوا أعلم زمانهم إذ سموك بهذا الاسم؛ ولم يعد إلى ما كان يصنع !

٢ - إِنَّما تُوجَدُ فِي قَعْرِ البِحارِ الفُصوصُ .

ألف أبو العلاء صاعد كتاب الفصوص، واتفق أن أبا العلاء دفعه- حين كمل- لغلام له يحمله بين يديه، وعبر النهر- نهر قرطبة- فخانت الغلام رجله؛ فسقط فى النهر هو والكتاب !

فقال فى ذلك بعض الشعراء بيتا بحضرة المنصور هو:

قـــد غاص فى البحـــر كتاب الفصوص وهكـذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون.

فلم يرع ذلك صاعدا، ولا هاله، وقال مرتجلا مجيبا:

عــاد إلى معدنـــه إنمــا توجد فى قعر البحار الفصوص !

٣- إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ.

شكا الحجاج يوما سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم، وسخط طريقتهم، فقال له جامع المحاربى- وكان شيخا صالحا خطيبا لسنا: أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك، على أنهم ما شنئوك لنسبك، ولا لبلدك، ولا لذات نفسك، ولكنهم نقموا أفعالك، فدع ما يبعدهم عنك إلى ما يدنيهم منك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك.

فقال له الحجاج: والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف!

فقال جامع: أيها الأمير، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار!

فقال الحجاج: الخيار يومئذ لله! قال جامع: أجل، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله!

فغضب الحجاج وقال: يا هناه، إنك من محارب!

فقال جامع:

وللحـرب سمينـا وكـان محاربـا إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال له الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك، وأضرب به وجهك.

قال جامع: إن صدقناك أغضبناك.. وإن كذبنا أغضبنا الله.. وغضب الأمير أهون علينا من غضب الله.

فانشغل الحجاج ببعض الأمور.. فخرج جامع خلسة من المكان.

٤- إنّما نُعْطِي الذى أُعْطِينا

كان أبو الزلفاء رجلا منتاثا[1].. فولدت له امرأته بنتا... فصبر.. ثم ولدت له بنتا ثانية فصبر.. فولدت بنتا ثالثة.. فهجرها وتحول عنها.. وأقام فى بيت جيران له بالقرب من بيته.. فلما رأته امرأته أنشأتِ شعرا تقول فيه:

ما لأبى الزلفاء لايأتينا   وهو فى البيت الذى يلينا

يغضب أن لم نلد البنينا   وإنما نعطى الذى أعطينا

فلما سمع الرجل منها هذا الكلام.. طابت نفسه ورجع إليها.. يطلب الاعتذار عما لايملك.. فصارت مثلا تتمسك به كل النساء.

٥- إيَّاكِ أَعْنِى وَاسْمَعِي يا جَارَة .

خرج سهل بن مالك الفزاري يريد النعمان.. فمر ببعض أحياء طىء.. فسأل عن سيد الحى.. فقيل له حارثة بن لأم.. فتوجه إلى دياره..فلم يقابل أحدا إلا أخته فقالت له: انزل فى الرحب والسعة.. فنزل فأكرمته.. ثم خرجت من خبائها.. فرأى أجمل وأكمل النساء.. وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها.. فوقع فى نفسه منها شىء.. وهو لا يدرى كيف يخبرها بذلك.. فجلس بفناء الخباء يوما وهى تسمع كلامه.. وجعل ينشد ويقول:

يا أخت خير البدو والحضارة   كيف ترين فى فتى فزارة

أصبح يهوى حرة معطارة   إياك أعنى واسمعى يا جارة

فلما سمعت قوله عرفت أنه يعنيها.

فلما رجع من عند النعمان نزل على أخيها.. فخطبها وتزوجها وساربها إلى قومه.

والمراد من المثل: أنه يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئا غيره.

---

(١) منتاثا: لا ينجب إلا الإناث.

٦- ارْحَمُوا عَزِيزًا ذَلَّ

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طيئ فريقا من جنده، يقدمهم على (رضى الله عنه)، ففزع عدى بن حاتم الطائى- وكان من أشد الناس عداء لرسول الله- إلى الشام، فصبح على القوم، واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله.

فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم؛ فقالت: يا محمد؛ هلك الوالد، وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلى عنى، ولا تشمت بى أحياء العرب ! فإن أبى كان سيد قومه، يفك العانى، ويقتل الجانى، ويحفظ الجار، ويحمى الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشى السلام، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا؛ أنا بنت حاتم الطائى !

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا جارية؛ هذه صفات المؤمنين حقا، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

ثم قال: (ارحموا عزيزا ذل، وغنيا افتقر، وعالما ضاع بين جهال). وامتن عليها بقومها فأطلقهم تكريما لها !

فاستأذنته فى الدعاء له؛ فأذن لها، وقال لأصحابه: اسمعوا وعوا. فقالت: أصاب الله ببرك مواقعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سببا فى ردها عليه.

فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدى وهو بدومة الجندل. فقالت له: يا أخى؛ إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإنى قد رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة؛ ورأيت خصالا تعجبنى: رأيته يحب الفقير؛ ويفك الأسير؛ ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير؛ وما رأيت أجود ولا أكرم منه، فإن يكن نبيا فللسابق فضله، وإن يكن

ملكا فلن تزال فى عز ملكه. فقدم عدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، وأسلمت سفانة !

٧- أَجْناؤُها أَبناؤُها .

قال أبو عبيد: الأجناء هم الجناة والأبناء البناة والواحد جان وبان وهذا جمع عزيز فى الكلام على أن يجمع فاعل على أفعال قال وأصل المثل أن ملكا من ملوك اليمن غزا وخلف بنتا وأن ابنته أحدثت بعده بنيانا قد كان أبوها يكرهه وإنما فعلت ذلك برأي قوم من أهل مملكته أشاروا عليها وزينوه عندها فلما قدم الملك وأخبر بمشورة أولئك ورأيهم أمرهم بأعيانهم أن يهدموه وقال عند ذلك أجناؤك أبناؤك فذهبت مثلا. يُضرب فى سوء المشورة والرأى وللرجل يعمل الشىء بغير روية ثم يحتاج إلى نقض ما عمل وافساده ومعنى المثل أن الذين جنوا على هذه الدار بالهدم هم الذين عمروها بالبناء.

٨- أَعْيَا مِنْ بَاقِل .

باقل رجل من ربيعة.. بلع من عيه أنه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما.. فمر بقوم.. فقالوا له:

- بكم اشتريت الظبى ؟.

فمد باقل يديه وكفيه وفرق بين أصابعه.. وأخرج لسانه.. يريد بذلك أن يقول أحد عشر درهما.. فشرد الظبى وكان تحت إبطه.

٩- إِنَّكَ لا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ .

رأى صبى أباه يغرس شجرا فى البستان.. وبعد عدة أشهر ظهرت ثماره عنبا حلوا لذيذا.. فظن الصبى أن كل ما يغرسه يخرج العنب.

وذات يوم وجد شجرة شوك فغرسها.. وانتظر مدة فوجد الشوك يظهر فى أغصانها.. فقال له أبوه:

- إنك لا تجنى من الشوك العنب.. فلا تنتظر الشىء من غير أصله.

ويُضرب هذا المثل لمن يرجو المعروف من غير أهله.. أو لمن يعمل الشر فينتظر من ورائه الخير.. أو لمن يحاول إصلاح شخص خسيس الأصل سىء التربية.

١٠- أَبُو رَافِعٍ لا يَكْذِبُ فِي نَوْمٍ وَلا يَقَظَةٍ .

حكى أن امرأة أبى رافع رأته فى نومها بعد موته، فقال لها: أتعرفين فلانا الصيرفى ؟ قالت له: نعم، قال: فإن لى عليه مائتى دينار.

فلما انتبهت غدت إلى الصيرفى فأخبرته، وسألته عن المائتى دينار ! فقال: رحم الله أبا رافع، والله ما جرت بينى وبينه معاملة قط !

فأقبلت إلى مسجد المدينة فوجدت مشايخ من آل أبى رافع، كلهم مقبول القول، جائز الشهادة، فقصت عليهم الرؤيا، وأخبرتهم خبرها مع الصيرفى، وإنكاره لما ادعاه أبو رافع.

قالوا: ما كان أبو رافع ليكذب فى نوم ولا يقظة ! قربى صاحبك إلى السلطان ونحن نشهد لك عليه.

فلما علم الصيرفى عزم القوم على الشهادة لها ! وعلم أنهم إن شهدوا عليه لم

يبرح حتى يؤديها، قال لهم: إن رأيتم أن تصلحوا بينى وبين هذه المرأة على ماترونه فافعلوا، قالوا: نعم، والصلح خير، ونعم الصلح الشطر، فأد إليها مائة دينار من المائتين، فقال لهم: أفعل، ولكن اكتبوا بينى وبينها كتابا يكون وثيقة لى.

قالوا: وكيف تكون هذه الوثيقة ؟ قال: تكتبون لى عليها أنها قبضت منى مائة دينار صلحا عن مائتى الدينار التى ادعاها أبو رافع فى نومها، وأنها قد أبرأتنى منها، وشرطت على نفسها ألا ترى أبا رافع فى نومها مرة أخرى، فيدعى على بغير هذه المائتى الدينار؛ فتجىء بفلان وفلان يشهدان علىَّ لها. فلما سمعوا الوثيقة انتبه القوم لأنفسهم، وقالوا: قبحك الله، وقبح ما جئت به !

١١ - إِنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِلَ الثَّوْرُ الأَبْيَضُ .

ثيران ثلاثة كانت فى أجمة، وكان واحد منها أبيض، والآخر أسود، والثالث أحمر. وكان فى هذه الأجمة أسد، فكان الثيران الثلاثة لاجتماعهم لا يقدر الأسد عليهم، فأخذ يفكر كيف يتغلب على هذه الوحدة.

وذات يوم قال الأسد للثورين الأحمر والأسود. (إن وجود الثور الأبيض بيننا خطر علينا، لأنه يدل علينا ببياضه، أما أنا وأنتما، فألواننا متماثلة، فلو تركتمانى آكله، صفت لنا الأجمة، فقالا: دونك فكله ! فأكله.

ومضت أيام، وجاء الأسد إلى الثور الأحمر، وقال له: (إن لونى مثل لونك، فدعنى آكل الثور الأسود، لتصفو لنا الأجمة) فقال الثور الأحمر: دونك فكله ! فأكله. ولم يبق فى الأجمة إلا الأسد والثور الأحمر. ورأى الأسد أنه قد تمكن من هذا الثور بعد فقده أخويه، فقال له: أيها الثور، سآكلك لا محالة ! فقال الثور: دعنى أنادى ثلاثا. فقال الأسد: افعل ! فنادى الثور بأعلى صوته: ألا إنى أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

أى يوم فرط فى أخيه، وخدع بعدوه.

١٢- أَفْرَطْتَ فِي بِرِّي فَعَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ.

قال على بن جبلة: زرت أبا دلف بالجبل، فكان يظهر من إكرامى وبرى والتحفى بى أمرا مفرطا، حتى تأخرت عنه حينا حياء؛ فبعث إلى معقل ابن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعت عنى، وأحسبك استقللت برى بك، فلا يغضبنك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى، فقلت: والله ما قطعنى إلا إفراطه فى البر، وكتبت إليه:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر !

ولكننى لما أتيتك زائرا ... فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر

فما لآن لا آتيك إلا مسلما ... أزورك فى الشهرين يوما أو الشهر

فإن زدتنى برا تزايدت جفوة ... ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر!

فلما قرأها معقل استحسنها، وقال: أحسنت والله، أما إن الأمير لتعجبه هذه المعانى فلما أوصلها إلى أبى دلف قال: قاتله الله ! ما أشعره وأدق معانيه ! وأعجبته وأجابنى لوقته- وكان حسن البديهة حاضر الجواب:

ألا رب ضيف طارق قد بسطته ... وآنسته قبل الضيافة بالبشر

١٣- بِجَدِّكَ لا بِكَدِّكَ.

أول من قاله حاتم بن عميرة الهمداني، وكان قد بعث ابنيه الحسل وعاجبة في تجارة، فلقي الحسل قوماً من بني أسد، فأخذوا ماله وأسروه. وسار عاجبة أياما ثم وقع على مال في طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره، فأخذه ورجع، وقال في ذلك:

كفاني بعد قرب السيرأني ... رأيت الخير في السفر القريب

رأيت البعد فيه شقا ونأيا ... ووحشة كل منفرد غريب

فأسرعت الإياب بخير حال إلى حوراء خرعبة لعوب
وإني ليس يثنيني إذا ما رحلت سنوح شحاج نعوب

فلما رجع إلى أهله فرحوا به فرحا شديدا، وانتظروا الحسل، فلما جاء أوان قدومه فلم يقدم رابهم أمره، فبعث أبوه أخاً له يسمى شاكرا في طلبه والبحث عنه، فلما دنا شاكر من الأرض التي بها الحسل رأى عائفا يزجر الطير، فقال:

يخبرني بالنجاة القطا وقول الغراب بها شاهد
يقول ألا قد دنا نازخ فداء له الطارف التالد
أخ لم تكن أمنا أمه وكان أبانا أب واحد
تدارك رأفته حاتم فنعم المربب والوالد

ثم إن شاكرا سأل عنه فأخبر بمكانه، فاشتراه منهم. فلما رجع به قال أبوه: (بجدك لا بكدك) تقول: (اسعَ بحظ تكسب به خير من جلادة ومكابدة ومجاهدة لا حظ لك معها) فذهبت مثلا.

١٤ - بَقِيَ أَشَدُّهُ.

ويروى (بقي شده) وهذا مما تمثل به العرب عن ألسن البهائم. قيل: كان من شأن هذا المثل أنه كان في الزمان الأول هر أفنى الجرذان وشردها، فاجتمع ما بقي منها، فقالت: هل من حيلة نحتال بها لهذا الهر لعلنا ننجو منه؟ فاجتمع رأيها على أن تعلق في رقبته جلجلا إذا تحرك لها سمعن صوت الجلجل فأخذن حذرهن، فجئن بالجلجل، فقالت بعضهن: أينا يعلق الآن، فقالت الأخرى: بقي أشده، أو قيل شده.

يضرب عند الأمر يبقى أصعبه وأهوله.

وفيه يقول إبراهيم بن علي صاحب فرائد اللآل:

كلفتني تتميم أمر موبق وإنما أشده الذي بقي

١٥- بِسِلَاحٍ مَا يَقْتُلْنَ القَتِيلَ .

قاله عمرو بن هند حين بلغه قتل عمرو بن مامة، فغزا مرادا، وهم قتلة عمرو، فظفر بهم، وقتل منهم كثيراً، فأتي بابن الجعيد سلما، فلما رآه أمر به فضرب بالغمد حتى مات، فقال عمرو بن هند: بسلاح ما يقتلن القتيل، فأرسلها مثلا.

يضرب في مكافأة الشر بالشر، يعني يقتل من يقتل بأي سلاح كان، وقوله يقتلن دخلته النون لمكان (ما) وهي مؤكدة، ويجوز أن يكون أراد بسلاح ما يقتلن قاتل القتيل، فحذف، ويجوز أن يريد ابن الجعيد الذي قتل بين يديه، فتكون الألف واللام للعهد.

قال إبراهيم بن علي في هذا المثل:

بـأي شر سيكافـى الـعذل إذ بسلاح مــا القتيــل يقتل

١٦- بِمِثْلِي زَابِنِي .

زابني: دافعي، من الزبن وهو الدفع.

والمثل في الأصل: مر مجاشع بن مسعود السلمي وقومه بقرية من قرى كرمان، فسأل أهلها القوم: أين أميركم؟ فأشاروا إليه، فلما رأوه ضحكوا منه- وكان دميما- وازدروه، فلعنهم وقال: إن أهلي لم يريدوني ليحاسنوا بي، وإنما أرادوني ليزابنوا بي، أي ليدافعوا بي، وأنشد ابن الأعرابي:

بمثلي زابنــي حلمــا وجــودا إذا التقت المجامع والخطـوب
بـــعـيــد حــولـي قــلـبـى عظيم القــدر متلاف كســوب
فـإن أهلك فقــد أبليت عـذرا وإن أملك فمن عضبـي قضيب

أي أن فرعي من أصلي، يريد أنه من أصل كريم، يدافع به عند الأزمات:

يا منية القلب بمثلـى زابنـــي وإن تكونـي لـم تري محاسنـي

١٧ - بَعْدَ اطِّلَاعِ إِينَاسُ .

قاله قيس بن زهير حين قال له حذيفة بن بدر يوم داحس: سبقتك يا قيس، فقال قيس: بعد اطلاع إيناس، يعني بعد أن يظهر أتعرف الخبر، أي إنما يحصل اليقين بعد النظر، أنشد ابن الأعرابي:

ليس بما ليس بـه بأس بـاس ولا يضيـر البـر ما قال الناس

وإنه بعـد اطلاع إينـاس

ويروي (بعد طلوع). وقال فيه صاحب فرائد اللآل:

بهـا اطلعت فعداني اليـاس بعـد اطلاع يـحسن الإينـاس

١٨ - بَخٍ بَخٍ ساقٌ بِخلْخالٍ .

بخ: كلمة يقولها المتعجب من حسن الشيء، وكماله الواقع موقع الرضا، كأنه قال: ما أحسن ما أراه، وهو ساق محلاة بخلخال، ويجوز أن يريد بالباء معنى مع، فيكون التعجب من حسنهما.

يضرب المثل فى التهكم والهزء من شيء لا موضع للتهكم فيه.

وأول من قال ذلك الورثة بنت ثعلبة امرأة ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وذلك أن رقاش بنت عمرو بن عثمان من بني ثعلبة طلقها زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكاية، فتزوجها ذهل بن شيبان زوج الورثة ودخل بها، وكانت الورثة لا تترك له امرأة إلا ضربتها وأجلتها. فخرجت رقاش يوما وعليها خلخالان، فقالت الورثة: بخ بخ ساق بخلخال ! فذهبت مثلا. فقالت رقاش: أجل ساق بخلخال لا كخالك المختال. فوثبت عليها الورثة لتضربها، فضبطتها رقاش وضربتها وغلبتها

حتى حجزت عنها، فقالت الورثة:

يا ويح نفسي اليوم أدركني الكبر ... أأبكي على نفسي العشية أم أذر
فوالله لو أدركت في بقية ... للاقيت ما لاقى صواحبك الأخز

١٩- بِأَبِي وُجُوهُ اليَتامى.

أول من قال ذلك أخ كان للنعمان بن المنذر من الرضاعة يدعى سعد القرقرة من أهل هجر، من أضحك الناس وأبطلهم، وكان يضحك النعمان ويعجبه. وقيل إن النعمان جلس في مجلسه ذات يوم، فأتى حمار وحشي، فدعا بفرسه اليحموم ثم قال: احملوا سعدا على فرسي اليحموم، وأعطوه مطردا، وخلوا عن الحمار ليطلبه سعد فيصرعه، فقال سعد: إني إذا أصرع عن الفرس. فقال النعمان: والله لتحملنه. فحمل سعد على اليحموم، ودفع إليه مطرد، وخلي الحمار، فنظر سعد إلى بعض بنيه قائما في النظارة، فقال: بأبي وجوه اليتامى، فأرسلها مثلا، وألقى الرمح، وتعلق بعرف الفرس، فضحك النعمان، ثم أدرك فأنزل.

يضرب في التحنن على الأقارب. ولإبراهيم بن علي الطرابلسي:

لا قول عنده لمن ترامى ... يا بأبي الوجوه لليتامى

٢٠- بَيْنَ حاذِفٍ وَقاذِفٍ.

يضرب مثلا للرجل لا ينصرف من مكروه إلا إلى مثله، وأصله في الأرنب، وذلك أن كل شيء يطمع فيها حتى الغراب. وقال بعضهم: أول من تمثل به عمرو بن العاص، ومن حديثه أن الخليفة عمر بن الخطاب استقدمه من مصر، وهو واليه عليها،

فسار سبقا إلى المدينة، فقال له عمر، لقد سرت سير الصرورة المشتاق، قال: إني لم تأبطن الإماء، ولم ينفض عليّ سوادهن. فقال عمر: إن الدجاجة ربما فحصت في التراب فباضت عليه من غير طروقة، فانصرف عمرو واجما، فلقي رجلا من الأنصار، فشكا عمر إليه، فقال: إنك قد صقعت الحاجب، وأوضعت بالراكب. فقال عمرو: لا أقع إلا على حاذف أو قاذف.

القاذف بالحجر والحاذف بالعصا، والطروقة الفحل، والصرورة الذي لم يحج، والذي لم يتزوج أيضا.

٢١- أَبْصَرُ مِنْ زَرْقاءِ الْيَمَامَةِ .

هى امرأة من قوم (جديس) كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام.

وذات يوم قتل قوم (جديس) رجلا يدعى (طمس) فقام رجل من قومه إلى (حسان بن تبع) سيد حمير.. يرغبه فى الانتقام.. على أن تكون الغنائم من نصيبه.

فجهز حسان جيشا وسار إلى (جديس).. وكان يعلم أن فيهم زرقاء اليمامة سوف تبصرهم على مسيرة ثلاثة أيام عندها يستعدون لملاقاتهم.. فأمر أن يحمل كل رجل من رجاله شجرة يستتر بها ليضلل زرقاء وقومها.

وعندما رأتهم زرقاء اليمامة على مسيرة ثلاث ليال قالت لهم:

- يا قوم قد أتتكم الشجر.. أو أتتكم حمير.. فلم يصدقوها.. ولم يستعدوا.. فأتاهم حسان صباحا فاجتاحهم.

وقالت بيت شعر :

أقسم بالله لقد دب الشجر   أو حمير قد أخذت شيئا يجر

٢٢- بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي .

اللتيا والتي هما الداهيتان الكبيرة والصغيرة، وكنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيها بالحية، فإنها إذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جسدها. وقيل: الأصل فيه أن رجلا من جديس تزوج امرأة قصيرة، فقاسى منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوج امرأة طويلة، فقاسى منها ضعف ما قاسى من القصيرة، فطلقها، وقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبدا، فجرى ذلك على الداهية. وقيل إن العرب تصغر الشيء العظيم، كالدهيم واللهيم، وذلك منهم رمز.

ومنه قول سُلَمِيّ بن ربيعة الضبي:

ولقد رأيت ثأى العشيرة بينها وكفيت جانيها اللتيا والتي

وصفحت عن ذي جهلها ومنحتها حلمي ولم تصب العشيرة زلتي

٢٣- بَعْدَ خَيْرَتِها تَحْتَفِظُ .

قيل إن أول من قاله هرم بن سنان لراع له كان يرعى إبله، فضيع خيارها، فاستدعاه يوما لبعض شغله، فقال الراعي: إني مشغول بحفظ الإبل، فقال هرم: بعد خيرتها تحتفظ، فذهب قوله مثلا.

يضرب لمن يتعلق بقليل ماله بعد إضاعة أكثره، وقيل يضرب مثلا لسوء التدبير في المعيشة وحفظ المال. قال الأحدب الطرابلسي:

يا من بما قل يضن فاتعظ أبعد خيرها الكثير تحتفظ

٢٤- بِبَطْنِه يَعْدُو الذَّكَرُ.

فيقال أن الذكر من الخيل يعدو على حسب ما يأكل.. وذلك أن الذكر أكثر أكلا من الأنثى.. فيكون عدوه أكثر.

ويقال أن رجلا حضر إلى امرأته وهو جائع.. فتهيأت له.. ولكنه لم يلتفت إليها.. ولا إلى أولاده.. فلما شبع دعا أولاده فقربهم منه.. ثم طلب من امرأته الباءة.. فقالت المرأة ببطنه يعدو الذكر.

٢٥- بِمِثْلِ جَادِيَةَ فَلْتَزْنِ الزانِيةُ.

هو (جادية بن سليط).. وكان حسن الوجه.. فأعجبت به امرأة.. ومكنته من نفسها.. فحملت منه.

ولما علمت أمها بما حدث.. لامتها.. ثم رأت الأم جمال ابن سليط.. فعذرت بنتها.. وقالت: بمثل جادية فلتزن الزانية.. سرا أو علانية.

يضرب فى الكريم يخدمه من هو دونه.

٢٦- بِمَنْ أَسْتَجِيرُ مِنْ جَوْرِكَ ؟

جلس معاوية بن أبى سفيان فى مجلس كان له بدمشق، وكان ذلك الموضع مفتح الجوانب يدخل منه النسيم، فبينما هو جالس ينظر إلى بعض الجهات فى يوم شديد الحر، وقد اشتد نفح الهجير، إذ نظر إلى رجل يمشى نحوه وهو يتلظى بالنار من حر التراب، ويحجل فى مشيه حافيا، فتأمله معاوية وقال لجلسائه: هل خلق الله

أشق ممن يحتاج إلى الحركة فى هذه الساعة ؟ فقال بعضهم: لعله يقصد أمير المؤمنين، فقال: والله لئن كان قاصدى سائلا لأعطينه، أو مستجيرا لأجيرنه، أو مظلوما لأنصرنه.

فدخل وسلم على معاوية، فقال له: ممن الرجل ؟ فقال: من تميم، قال: ما الذى جاء بك فى مثل هذا الوقت ؟ قال: جئتك مشتكيا وبك مستجيرا. قال: ممن ؟ قال: من مروان بن الحكم، ثم أنشد أبيات.

فلما سمع معاوية إنشاده والنار تتوقد من فيه قال: مهلا يا أخا العرب، اذكر قصتك وأفصح عن أمرك.

قال: يا أمير المؤمنين، كانت لى زوجة وهى ابنة عمى وكنت لها محبا وبها كلفا؛ وكنت بها قرير العين، طيب العيش، وكانت لى صرمة من الإبل أستعين بها على قيام حالى وإصلاح أودى؛ فأصابتنا سنة ذات قحط شديد، أذهبت الخف والظلف، وبقيت لا أملك شيئا، فلما قل ما بيدى؛ وذهب حالى ومالى، بقيت مهانا ثقيلا على وجه الأرض؛ قد ابعدنى من كان يشتهى القرب منى، وازور عنى من كان يرغب فى زيارتى!

فلما علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى، وسألنى الفراق وجحدنى وطردنى، وأغلظ على؛ فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مستصرخا، وبه راجيا لينصرني، فأحضر أباها وسأله عن حالى، فقال: ما أعرفه قبل اليوم، فقلت: أصلح الله الأمير! إن رأى أن يحضرها ويسألها عن قول أبيها فليفعل.

فبعث إليها مروان وأحضرها مجلسه، فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الإعجاب؛ فصار لى خصما وعلَّ منكرا! ونهرنى وأظهر لى الغضب وبعث بى إلى السجن، فبقيت كأنما خررت من السماء فى مكان سحيق!

ثم قال لأبيها: هل لك أن تزوجها منى على ألف دينار وعشرة آلاف درهم لك ؟ وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الأعرابى. فرغب أبوها فى البذل وأجابه لذلك!

فلما كان الغد بعث إلىَّ وأخرجنى من السجن، وأوقفنى بين يديه، ونظر إلىَّ كالأسد الغضبان؛ وقال: يا أعرابى، طلق سعدى؛ فقلت: لا أقدر على هذا، فسلط علىَّ جماعة من غلمانه، فأخذوا يعذبوننى بأنواع العذاب، فلم أجد بدا من ذلك ففعلت، ثم عادوا بى إلى السجن، فمكثت فيه إلى أن انقضت عدتها، فتزوجها ودخل بها. وقد أتيتك مستجيرا وإليك ملتجئا.

قال معاوية: تعدى فظلم مروان بن الحكم فى حدود الدين، واجترأ على حرم المسلمين، ثم قال: والله يا أعرابى، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط؛ ثم دعا بدواة وقرطاس، وكتب إلى مروان بن الحكم: قد بلغنى أنك اعتديت على رعيتك، وانتهكت حرمة من حرم المسلمين، وتعديت حدود الدين، وينبغي لمن كان واليا أن يغض بصره عن شهواته، ويزجر نفسه عن لذاته.

وإلى مروان سلم الكتاب، ففضه وقرأه، ثم ارتعدت فرائصه، وطلقها فى الحال وبعث بها إلى أمير المؤمنين.

ولما رأى معاوية الجارية رأى صورة لم ير مثلها فى الحسن والقد والجمال ؟ وخاطبها فوجدها أفصح النساء بعذوبة منطق، ثم قال: علىَّ بالأعرابى؛ فأتى إليه وهو فى غاية من سوء الحال، فقال: يا أعرابى؛ هل لك عنها من سلوة، وأعوضك ثلاث جوار مع كل جارية ألف دينار، وأقسم لك من بيت المال فى كل سنة ما يكفيك ويعينك على صحبتهن ؟

فلما سمع الأعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات، ولما أفاق قال له: ما بالك ؟ فقال: شر بال، وأسوأ حال؛ استجرت بعدلك من جور ابن الحكم، فبمن أستجير من جورك !

ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما اعتضته دون سعدى.

فقال معاوية: يا أعرابى؛ إنك مقر أنك طلقتها، ومروان مقر أنه طلقها، ونحن نخيرها، فإن اختارت سواك زوجناه بها، وإن اختارتك رجعنا بها إليك. قال: افعل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ودعاها معاوية وقال لها: ما تقولين يا سعدى ؟ أى أحب إليك ؟ أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده، أو مروان بن الحكم فى عسفه وجوره، أو هذا الأعرابى مع جوعه وفقره وسوء حاله ؟ فأنشدت هذين البيتين:

هذا وإن كان فى فقر وإضرار ... أعز عندى من قومى ومن جارى !

وصاحب التاج أو مروان عامله ... وكل ذى درهم عندى ودينار

ثم قالت: والله يا أمير المؤمنين؛ ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان، ولا لغدرات الأيام، وإن لى معه صحبة قديمة لا تنسى، ومحبة لا تبلى، وأنا أحق من صبر معه على الضراء، كما تنعمت معه فى السراء.

فتعجب معاوية من عقلها ومروءتها، وأمر لها بعشرة آلاف درهم، وردها بعقد جديد، فأخذها الأعرابى وانصرف.

٢٧- بَاتَتْ تُعَيِّرُنِي الإقْتَارَ وَالْعَدَمَا .

قال الأصمعى: لقيت أعرابيا بالبادية فاسترشدته إلى مكان، فأرشدنى ثم رجعت إلى البصرة فمكثت بها حينا، ثم قدمت البادية، فإذا بالأعرابي جالس بين ظهرانى قوم، وهو يقضى بينهم، فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أقضيته، ثم جلست إليه وقلت: يرحمك الله، أما من رشوة ! أما من هدية ! أما من صلة ! فقال: إذا جاء هذا ذهب التوفيق. فشكوت إليه ما ألقى من عذل حليلة لى إياى فى طلب

المعيشة، فقال: لست فيها بأوحد، وإنى لشريكك، ولقد قلت فى ذلك شعرا. قلت: أنشدنيه، فأنشدنى:

باتت تعيرنى الإقتار والعدما ... لما رأت لأخيها المال والخدما
عنف لرأيك ما الأرزاق من جلد ... ولا من العجز بل مقسومة قسما
يا أمة الله إنى لم أدع طلبا ... للرزق- قد تعلمين- الشرق والشأما

قال: فوالله ما أنشدتها زوجى حتى حلفت ألا تعذلنى أبدا.

٢٨- تَحْمِلُ عِضَةٌ جَنَاها [(١)]

كان لرجل إمرأة.. وكانت لها ضرة.. فعمدت الضرة إلى تحضير قدحين متشابهين.. فجعلت فى أحدهما سويقا وفى الآخر سما.. ووضعت قدح السويق عند رأسها.. والقدح المسموم عند رأس ضرتها لتشربه.

ولكن الضرة فطنت لذلك.. فلما نامت حولت القدح المسموم إليها.. ورعت قدح السويق إلى نفسها.

فلما استيقظت أخذت قدح السم على أنه السويق فشربته.. فماتت.. فقيل: تحمل عضة جناها.

والعضة واحدة العضاه وهى الأشجار ذوات الشوك.. يعنى أن كل شجرة تحمل ثمرتها.

---

(١) عضة: مؤنث عض وهو الشرير الخبيث

٢٩- تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْها .

أي أنها لا تكون ظئرا وإن آذاها الجوع، ويروى: (ولا تأكل ثدييها).

وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسدي، وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي، فزاره فنظر إلى ابنته الزباء- وكانت من أجمل أهل دهرها- فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطبا، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنع الراغب، فقال له علقمة: أنت كفء كريم، يقبل منك الصفو، ويؤخذ منك العفو، فأقم ننظر في أمرك. ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا، وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته. فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك: الكهل الجحجاح، الواصل المناح، أم الفتى الواضاح ؟ قالت: لا، بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل، الكثير النائل، كالحديث السن، الكثير المن، قالت: يا أمتاه، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلإ، قالت: أي بنية، إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يبلي شبابي، ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي. فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتنى بها، ثم رحل بها إلى قومه. فبينما هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبل إليه شباب من بني أسد يعتلجون، فتنفست صعداء، ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يبكيك ؟ قالت: ما لي وللشيوخ، الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها. ثم إنه طلقها وأعادها إلى أهلها.

٣٠- تَعِسَتِ العَجَلَةُ .

أول من قال هذا "فند" مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، وكان أحد المغنين المجيدين، وكانت عائشة أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوما يخرجون إلى مصر، فخرج معهم فأقام بها سنة، ثم قدم فأخذ نارا وجاء يعدو فعثر وتبدد الجمر، فقال: تعست العجلة.

وفيه يقول الشاعر:

مـا رأينــا لغـراب مثلا	إذ بعثناه يجيء بالمشملة
غير فند أرسلوه قابسـا	فثوى حولا وسب العجلة

٣١- تَحْسَبُها حَمْقَاءَ وَهِيَ بَاخِسٌ .

ويروى (باخسة) أراد أنها ذات بخس تبخس الناس حقوقهم، ومن روى (باخسة) بناه على بخست فهي باخسة.

ويقال إن المثل تكلم به رجل من بني العنبر من تميم، جاورته امرأة فنظر إليها فحسبها حمقاء لا تعقل ولا تحفظ ولا تعرف مالها، فقال العنبري: ألا أخلط مالي ومتاعي بمالها ومتاعها ثم أقاسمها فآخذ خير متاعها وأعطيها الرديء من متاعي. فقاسمها بعدما خلط متاعه بمتاعها، فلم ترض عند المقاسمة حتى أخذت متاعها، ثم نازعته وأظهرت له الشكوى حتى افتدى منها بما أرادت. فعوتب عند ذلك، فقيل له: اختدعت امرأة وليس ذلك بحسن، فقال: تحسبها حمقاء وهي باخسة.

يضرب لمن يتباله وفيه دهاء.

٣٢- تَجَاوَزْتَ شَبِيثًا وَالأَحَصَّ وَمَاءَهُما .

يضرب مثلا للرجل يطلب الشيء وقد فاته.

والمثل لجساس بن مرة، وذلك أنه لما طعن كليبا فسقط، وجعل يجود بنفسه قال له: يا جساس، اسقني ماء، فقال له: (تجاوزت شبيثا والأحص وماءهما) أي قد فاتك الانتفاع بالماء، فقال نابغة بني جعدة (الجعدي):

كليب لعمري كـان أكثـر نـاصرا وأيسـر جرمـا منـك ضرج بالدم
فقـال لـجسـاس أغثـني بشربـة تـمـن بـهـا فضـلا علـي وأنعـم
فقـال تـجـاوزت الأحـص ومـاءه وبطـن شبيـث وهـو ذو مترسـم

ويروى المثل: (تخطى إلى شبيث والأحص). وشبيث: ماء لبني الأضبط ببطن الجريب في موضع يقال له دارة شبيث، والأحص: موضع هناك أيضا.

٣٣- تَأْبى لَهُ ذَلِكَ بَنَاتُ أَلْبُبِي .

أصل هذا أن رجلا تزوج امرأة وله أم كبيرة، فقالت المرأة للزوج: لا أنا ولا أنت حتى تخرج هذه العجوز عنا، فلما أكثرت عليه احتملها على عنقه ليلا، ثم أتى بها واديا كثير السباع فرمى بها فيه، ثم تنكر لها، فمر بها وهي تبكي، فقال: ما يبكيك يا عجوز ؟ قالت: طرحني ابني ههنا وذهب وأنا أخاف أن يفترسه الأسد. فقال لها: تبكين له وقد فعل بك ما فعل ؟ هلا تدعين عليه، قالت: تأبى له ذلك بنات ألببي.

قالوا: بنات ألبب عروق في القلب تكون منها الرقة. يضرب في الرقة لذوي الرحم.

٣٤- تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ .

يضرب مثلا للرجل له منظر وهيئة ولا مخبر له. والدخل: ما يبطن في الشيء. يقال: شيء مدخول، إذا كان فاسد الجوف. وفي الأثر: هدنة على دخل، وعلى دخن، أي مصالحة على فساد ضمائر، وقريب منه قول الشاعر:

ويعجبك الطرير فتبتليه ويخلف ظنك الرجل الطرير

قيل إن أول من قاله عثمة بنت مطرود البجلية لأختها خود وقد جاء فتيان لخطبتها. قالت هند بنت الخس:

وقالت قولة أُختي وحجواها لها عقل

ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل

٣٥- تَتَابَعِي بَقَرُ.

زعموا أن بشر بن أبي خازم الأسدي خرج في سنة جاع فيها قومه وجهدوا، فمر بقطيع من البقر وآخر من الظباء، فذعرت منه وصعدت جبلا وعرا ليس له منفذ، فلما نظر إليها قام على شعب من الجبل، وأخرج قوسه، وجعل يشير إليها كأنه يرميها، فجعلت تلقي أنفسها وتتكسر، وهو يقول: تتابعي بقر، تتابعي بقر، حتى تكسرت كلها، فعاد إلى قومه وقادها إليهم فأكلوا وشبعوا.

٣٦- تَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ.

العين: المعاينة. يضرب لمن ترك شيئا يراه ثم تبع أثره بعد أن غاب.

وأول من قال ذلك مالك بن عمرو العاملي، وفي كتاب أبي عبيد مالك بن عمرو الباهلي، قال: وذلك أن بعض ملوك غسان كان يطلب في عاملة ذحلا، فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو، فاحتبسهما عنده زمانا، ثم دعاهما فقال لهما: إني قاتل أحدكما فأيكما أقتل؟ فجعل كل واحد منهما يقول اقتلني مكان أخي، فلما رأى ذلك قتل سماكا وخلى سبيل مالك، فقال سماك حين ظن أنه مقتول:

وأقسم لو قتلوا مالكـا لكنت لهم حية راصدة

وانصرف مالك إلى أهله، فلبث فيهم زمانا، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت:

وأقسم لو قتلوا مالكـا لكنت لهم حية راصدة

فسمعت بذلك أم سماك فقالت: يا مالك، قبح الله الحياة بعد سماك، اخرج في الطلب بأخيك، فخرج في الطلب، فلقى قاتل أخيه يسير في ناس من قومه، فقال: من أحس لي الجمل الأحمر، فقالوا له وعرفوه: يا مالك، لك مائة من الإبل فكف، فقال: لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله.

٣٧- تَرْكُ الذّنب أَيْسَرُ مِنَ الاعْتِذارِ.

والعامة يقولون: (ترك الذنب أيسر من طلب التوبة). وفي بعض الآثار: (إياك وما يعتذر منه). وروي عن إبراهيم النخعي أنه اعتذر إليه رجل فقال: قد عذرتك غير معتذر، يقول إن المعاذير يشوبها الكذب. يريد قد عذرتك وأنت ممسك عن عذرك غير معتذر، فكأنه كان عنده أعذر قبل أن يعتذر، فلذلك قال: إن المعاذير يشوبها الكذب.

٣٨- تَحْتَ الرّغْوةِ الصّرِيحُ.

يضرب مثلا للأمر تظهر حقيقته بعد خفائها.

والمثل لعامر بن الظرب، وكان عامر هذا يدفع بالناس في الحج، فحج ملك من ملوك حمير، فرآه فقال: لا أترك هذا المعدي، حتى أذله وأفسد عليه أمره، فلما رجع إلى بلده، وصدر الناس، أرسل إليه أني أحب ان تزورني، فأحبوك وأكرمك

وأتخذك خلا وصديقا، فأتى قومه فقالوا: انفذ وننفذ معك فنتجه بجاهك. فخرج وأخرج معه نفرا، فلما قدم بلاد الملك تكشف له رأيه وأبصر سوء ما صنع بنفسه، فقال: ألا ترون أن الهوى يقظان وأن العقل نائم ! وهو أول من قاله، فمن هناك يغلب الرأي الهوى، ومن لم يغلب الهوى بالرأي ندم، عجلت حين عجلتم، ولن أعود بعد ما أعجل برأي، إنا قد تورطنا في بلاد هذا الملك، فلا تسبقوني بريث أمر أقيم عليه، ولا بعجلة رأي أخف معه، دعوني وحيلتي، فإن رأيي لي ولكم.

فلما قدم على الملك ضرب عليه قبة وأكرمه، وأكرم أصحابه، فقالوا: قد أكرمنا كما ترى، وبعدها ما هو خير، فقال: لا تعجلوا، فإن لكل عام طعاما، ولكل راع مرعى، ولكل مراح مريحا، وتحت الرغوة الصريح، وهو أول من قاله، فمكثوا أياما، ثم بعث إليه الملك فتحدث عنده، وقال: إني قد رأيت أن أجعلك الناظر في أمور قومي، فقد ارتضيت عقلك، فافرغ لما أريد. قال: أحسب أن رغبتك في قربي بلغت بي أن تخلع لي ملكك، وقد تفضلت إذ أهلتني لهذه المهمة، ولي كنز علم لست أعمل إلا به، تركته في الحي مدفونا، وإن قومي أضناء بي، فاكتب لي سجلا بجباية الطريق فيرى قومي طمعا تطيب أنفسهم به عني، فأستخرج كنزي، وأرجع إليك، فكتب له سجلا بجباية الطريق، وجاء أصحابه فقال: ارتحلوا، حتى إذا برزوا قالوا: لم نر كاليوم وافد قوم ولا أبعد من نوال منك، فقال لهم: مهلا، فإنه ليس على الرزق فوت، وغانم من نجا من الموت، والملك خوف، والسيف حيف، ومن لم ير باطنا يعش واهنا.

٣٩- جَاوِرِينا واخْبُرِينا .

عشق رجلان امرأة.. أحدهما كان جميلا.. والآخر دميما.. كان الجميل يقول: عاشرينا.. وانظرى إلينا.. وكان الدميم يقول: جاورينا واخبرينا.. فقالت: لأختبرنهما.

وكان أن طلبت من كل واحد منهما أن ينحر جزورا.. ثم ذهبت إليهما متنكرة..

فبدأت بالجميل فوجدته عند القدر يلحس الدسم.. ويأكل الشحم.. ولما طلبت منه أن يطعمها أمر لها بثيل[1] الجزور.

ثم آتت الدميم فإذا هو يقسم لحم الجزور ويعطى كل من سأله.. فسألته فأعطاها أطايب الجزور.

وفى الصباح ذهبا إليها.. فوضعت بين يدي كل واحد منهما ما أعطاها.. وأقصت الجميل.. وقربت الدميم.. ويقال إنها تزوجته.

والمثل يضرب فى القبيح المنظر الجميل المخبر.

٤٠- جَارٌ كَجَارِ أَبِي دُوادَ .

يعنون كعب بن مامة، فإن كعبا كان إذا جاوره رجل فمات وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه. فجاءه أبو دواد الشاعر مجاورا له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسن الجوار، فقالوا: كجار أبي دواد. قال قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي   إلى جار كجار أبي دواد

وقال طرفة بن العبد:

إني كفاني من أمر هممت به   جار كجار الحذاقي الذي اتصفا

والحذاقي هو أبو دواد، وحذاق بطن من إياد، واتصف معناه صار وصفا في الجود يعني كعبا.

(١) ثيل الجزور: قضيب الجزور.

٤١- جَاءَ يَضْرِبُ أَصْدَرَيْهِ وَأَزْدَرَيْهِ .

بمعنى واحد، يعني جاء فارغا.

أول من قال ذلك ثعلبة بن يربوع، وكان أرسل رسولا إلى قومه، وهو معتقل عند بعض الأعداء، فلما وصل رسوله إلى قومه والتمس منهم ما قرره ثعلبة على نفسه قال يربوع أبو ثعلبة: إنا في كثرة وإن أدينا ما طلبه ثعلبة اختطفتنا ذؤبان العرب طمعا في أموالنا. فلم يدفع إلى الرسول شيئا، فلما عاد إلى ثعلبة فارغا، قال ثعلبة: جاء يضربه أصدريه، فذهب قوله مثلا، لمن يرجع من وجهته ولم ينجح مسعاه.

٤٢- جَرَحَهُ حَيْثُ لا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ .

أول من نطق بهذا المثل جندلة بنت فهر (وقيل الحارث) بن مالك بن النضر وكانت بجيلة الخلق، وكان زوجها حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شيخا كبيرا وهي عذراء، فأصابتهم ليلة ريح ومطر وبرق، فخرجت تصلح طنب بيتها وعليها صدار، فأكبت على الطنب وبرقت السماء برقة فأبصرها مالك بن عمرو بن تميم وهي مجبية (منكبة على وجهها) فشد عليها فخالطها، فقالت:

يا حنظل بن مالك لحرها   شفى بها من ليلة وقرها

فأقبل بنوها وزوجها فقالوا لها: ما لك ؟ فقالت: لدغت. قالوا: أينه ؟ قالت: (حيث لا يضع الراقي أنفه)، فذهبت مثلا، ومات حنظلة فتزوجها مالك صاحب اللدغة فولدت له نفرا.

يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه.

٤٣- جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْكَ.

والعامة تقول: (جوع كلبك يأكلك). والمثل الصحيح ما ذكرناه.

أول من قاله ملك من ملوك حمير، كان عنيفا على أهل مملكته يغصبهم أموالهم، ويسلبهم ما في أيديهم، وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه، وهو لا يحفل بذلك. فلما كان في بعض الأوقات سمعت امرأته أصوات السؤال، فقالت: إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش الرغد، وإني أخاف أن يكونوا عليك أشياعا وقد كانوا أتباعا. فقال مجيبا لها: (جوع كلبك يتبعك)، فذهبت مثلا.

٤٤- جَزَاءُ سِنِمَّار.

احتاج النعمان بن المنذر ملك الحيرة إلى مهندس ليبني له قصرا فريدا فى بنائه.. فأحضروا له مهندسا من الروم اسمه (سنمار) فلما فرغ من بنائه اصطحبه الملك إلى أعلاه لينظر روعة البناء.. ثم دفعه على الأرض ميتا.. حتى لا يبني قصرا مثله.

فيضرب هذا المثل لمن يحسن فى عمله فيكافأ بالإساءة إليه تصويرا للحالة الحاضرة بالحالة السابقة.

٤٥- جَاءَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ.

هو حنين بن بلوغ العبادي من أهل ذمة الكوفة، وهي النجف، وهو الذي يقول:

أنا حنين ومنزلي النجف   ليس خليلي بالباخل الصلف

وإنما ضرب به المثل لأن قوما، من الكوفة دعوه ليغنيهم، فمضوا به إلى بعض

الصحاري، فلما أخذ الشراب منهم ضربوه وأخذوا ثيابه، ولم يتركوا عليه غير خفيه. فلما صحا أقبل إلى أهله عريانا ليس عليه غير خفيه، فقالوا: جاء حنين بخفيه، فضرب مثلا لكل من جاء خائبا خاسرا.

٤٦- أَجْوَرُ مِنْ قاضِي سَدُوم

سدوم وعابور من قوم لوط عليه السلام

هذا القاضى الجائر اختصم إليه خصمان.. فقال أحدهما:

- إن علي لخصمى هذا ألف درهم.
- فقال القاضى: وما تقول ؟
- فقال الخصم المدعى عليه: إن خصمى يستحقها بعد خمسة أعوام.. فاحبسه لى.. فإنى أخاف أن يغيب.. فآتى بعد انقضاء المدة فلا أصادفه فأتعب.

فأصدر القاضى حكما بحبس صاحب الحق.. بسبب ما قاله المدعى عليه.. ومن هنا قال الشاعر:

اصطبر للفلك الجارى على كل غشوم   فهـو الدائر بالأمـــس على آل سدوم

والمراد من المثل:أنه يضرب فى الدلالة على الظالم الشديد الظلم.

٤٧- أَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةِ حَوْمَلٍ .

حومل هى امرأة من العرب.. كانت لها كلبة تحرسها.. وكانت لا تؤكلها.. وتتركها تجوع.. فتربطها بالليل للحراسة.. وتطردها بالنهار.. وتقول:

- التمسى لنفسك لا ملتمس لك.

فلما طال ذلك عليها.. أكلت الكلبة ذنبها من الجوع فقال فيها الشاعر الكميت بن زيد:

كما رضيت جوعا وسوء رعاية ... لكلبتها فى سالف الدهر حومل

نباحا إذاحا الليل أظلم دونها ... وغنما وتجويعا ضلال مضلل[1]

٤٨- حَمِيُم الْمَرْءِ وَاصِلُه .

كان رجل يقال له (كلاب بن فارع) فى غنم له يحميها.. فهاجمه أسد ضار.. وجعل يحطمها.. فانبرى (كلاب) يدافع عنها.. فحمل عليه الأسد.. فخبطه بمخالبه وجثم عليه.. فانكب (كلاب) على الأرض.. والأسد من فوقه.

وهو على هذه الحالة.. مر به رجلان: (الخنابر بن مره) وكان من أقرباء (كلاب).. والآخر هو (حوشب).. فاستغاث بهما (كلاب).. فخذله قريبه وحاد عنه.. بينما انبرى (حوشب) لمساعدته.. فلما هاجمه الأسد تمكن بسيفه من صرعه.. فقام كلاب يقول:

- يا حوشب.. أنت حميمى وقريبى دون الخنابر.. وانطلق به إلى قومه يخبرهم بذلك.

ولما هلك كلاب بعد ذلك.. اختصم الخنابر وحوشب فى تركته، عند (الخنابس) سيد القوم.. فقال حوشب للخنابر:

- أنا حميمه وقريبه.. فلقد خزلته.. وأنا نصرته.. وقطعته ووصلته أنا.. وصممت عنه وأنا أجبته.

ولما شهد القوم بذلك قال الخنابس: حميم المرء واصله.

وقضى لحوشب بالتركة.. وصارت مثلا.

(١) يقصد بهذا بنى أميه.. ويذكرهم بأن رعايتهم للأمة كرعاية حومل لكلبتها.

٤٩- حَرَاماً يَرْكَبُ مَنْ لاحَلالَ لَهُ .

أغار (جبيلة بن عبد الله أخو بنى قريع) علىَّ إبل مملوكة (جرية بن أوس بن عامر) يوم تسلوق.. وساقها جميعا إلا ناقة كانت فيها مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها.

وكان يرعى تلك الإبل ابن أخت (جرية).. فلما بلغ الخبر خاله.. كان القوم قد ساقوا الإبل غير تلك الناقة الحرام.. فقال (جرية) لابن أخته:

- رد علىَّ تلك الناقة لأركبها فى أثر القوم.
- فقال له الغلام: إنها حرام.
- فقال جرية: حراما يركب من لا حلال له.

فصارت مثلا يضرب لمن اضطر إلى ما يكرهه.

٥٠- حَبْلُكَ عَلى غَارِبِكَ .

يقال: ألقيت حبله على غاربه، إذا تركته يذهب حيث يريد. وأصله أنهم إذا أرادوا إرسال الناقة في المرعي ألقوا جديلها على غاربها لئلا تبصره، فيتنغص عليها ما ترعاه.

والغارب: مقدم السنام، ثم صار غارب كل شيء أعلاه، ومثله قولهم: (خله درج الصب) وقولهم للمرأة: (اذهبي فلا أنده سربك) أي لا أرد إبلك. والسرب: إبل الحي أجمع.

٥١- حَالَ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ .

أول من قاله حابس بن قنفذ الجزري، وكان أبوه قنفذ أشعر قومه، فلم يكن يولد له ولد ذكر إلا قتله خوفا من أن يقول الشعر فيفوقه. فولد له غلام، فطلبت

إليه أمه أن يتصدق به عليها، فقال: أخاف أن يقول الشعر، فضمنت له أن لا يقول بيتا، فوهبه لها. فأدرك الغلام، وانفجر عليه الشعر فنهته أمه. وأعلمته أنه إن قرض بيتا قتله أبوه، فامتنع من القول، وأمرضه ذلك، واشتد المرض فدخل عليه أبوه، وهو يجود بنفسه، فسأله عن سبب شكاته، فقال: يا أبت، شعر كثير خفتك أن أفوه به، فقال أبوه: يا بني، قل ما شئت، فقال حابس لأبيه: يا أبت، حال الجريض دون القريض، أي حال الريق يغص به، عن قول الشعر.

٥٢- حُرٌّ انْتَصَرَ.

يضرب مثلا للرجل يظلم فينتقم. وأصله رمز من رموز العرب؛ قالوا: وجدت الضبع تمرة، فاختلسها الثعلب، فلطمته، فلطمها؛ فتحاكما إلى الضب، فقالت: يا أبا الحسل، قال: (سميعا دعوت)، قالت: (جئنا نحتكم إليك)، قال: (في بيته يؤتي الحكم)، فقالت: إني التقطت تمرة، قال: (حلو جنيت) قالت: إن الثعلب أخذها قال: (حظ نفسه بغى)، قالت: (لطمته، قال: (أسفت والبادئ أظلم)، قالت: فلطمني، قال: (حر انتصر) قالت: أقض بيننا، قال: (حدث حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة).

٥٣- حَيْثُ ما ساءكَ فَالْعُكْلِيُّ فِيهِ.

يقال إن أم الزبرقان بن بدر كانت عكلية، وكان الزبرقان في أخواله يرعى ضئينا، فقال خاله يوما: لأنظرن إلى ابن أختي إذا راح ممسيا أعنده خير أم لا ؟ فلما راح ممسيا أدخل خاله يديه في يد مدرعته فمدهما، ثم قام في وجهه، فقال الزبرقان: من هذا ؟ تنح، فأبى أن ينتحى، فرماه فأقصده، فقال: قتلتني، فدنا منه الزبرقان فإذا هو خاله، فقال هذا القول: فذهب مثلا.

٥٤- الحامِلُ عَلى الكَرّازِ.[1]

مثل يضرب لمن يرمى باللؤم، يعنى أنه راع يحمل زاده على الكبش.

أول من قاله مخالس بن مزاحم الكلبى لقاصر بن سلمة الجذامي، وكانا بباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرتني- وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر- وقال: إن مخالسا هجاك وقال في هجائه:

لقد كان من سمى أباك ابن فرتني ... بـه عارفـا بالنعـت قبل التجارب

فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان فشكا مخالسا، فأرسل النعمان فجيء بمخالس، فقال له: لا أم لك، أتهجو أخي؟ قال: ما فعلت! فقال قاصر: لقد هجاه وما أروانيها سواه. فقال مخالس: استدلل على كذبه بقوله إني أرويته مع ما تعرف من عداوته لي، فعرف النعمان صدقه، فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: لأنت أضيق جحرا من نقاز، وأقل قرى من الحامل على الكراز، فأرسلها مثلا.

٥٥- حَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ وَرِيٌّ.

المثل لامرئ القيس بن حجر، وهو مما نقم عليه، ونسب فيه إلى تناقض القول، وذلك أنه قال:

ألا إلا تـكـن إبـل فمعـزى ... كـأن قرون جلتهـا العصي
فتملأ بيتنـا إقطـا وسمنـا ... وحسبك من غنى شبع وري

بعد أن قال:

فلو أنني أسعـى لأدنـى معيشـة ... كفـاني ولـم أطلب قليل من المال
ولكنمـا أسعـى لمجـد مـؤثـل ... وقـد يـدرك المجـد المؤثـل أمثالي

(١) الكرّازُ: الطبشُ الذي لا قرن له يحملُ عليه الراعي خُرْجَه.

فذكر مرة أنه لا يقنع بأدنى معيشة حتى ينال الملك والمجد المؤثل، وهو الذي له أصل ثابت، وذكر أخرى أن الشبع والري يكفيانه، وفسر على وجه آخر، ذلك أنه أراد الجود بما فضل عن الحاجة، يقول: جد بما عندك واقنع بالشبع والري ففيهما كفاية، والكلام على المعنى الأول أدل، وقال صاحب فرائد اللآل:

واقنع بما يكفيك يا علي　　　حسبك من غِنىً شِبعٌ وري

٥٦- حَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ .

معناه: كفاك بالقول عارا وإن كان باطلا. والمثل لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية.

ومن حديثه أن الربيع بن زياد ساوم قيس بن زهير بدرع فأخذها منه، ووضعها بين يديه وهو راكب، ثم ركض بها ولم يردها على قيس، فعرض قيس لفاطمة بنت الخرشب الأنمارية أم الربيع، وهي تسير فى ظعائن من بني عبس،فاقتاد جملها ليرتهنها بالدرع، فقالت له: ما رأيت كاليوم قط فعل رجل، أين ضل حلمك ؟ أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم فذهبت بها يمينا وشمالا، ويقول الناس ما شاءوا، وإن حسبك من شر سماعه ! فأرسلتها مثلا. فعرف قيس صواب قولها، وخلى سبيلها.

٥٧- الْحُمّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ .

يضرب مثلا للأمر يضطر صاحبه إلى الخضوع.

والمثل لعمرو بن معد يكرب قاله لعمر بن الخطاب. ومن حديثه أن عمرو بن معد يكرب قدم على عمر بن الخطاب فسأله عن سعد بن أبي وقاص، فقال: أعرابي في نمرته، عاتق في حجلته، أسد في تامورته، نبطي في جبايته، قال: كيف علمك

٥٤ - الْحَامِلُ عَلى الكَرّازِ .[١]

مثل يضرب لمن يرمى باللؤم، يعنى أنه راع يحمل زاده على الكبش.

أول من قاله مخالس بن مزاحم الكلبى لقاصر بن سلمة الجذامي، وكانا بباب النعمان بن المنذر، وكان بينهما عداوة، فأتى قاصر إلى ابن فرتني- وهو عمرو بن هند أخو النعمان بن المنذر- وقال: إن مخالسا هجاك وقال في هجائه:

لقد كان من سمى أباك ابن فرتني　　　به عارفا بالنعت قبل التجارب

فلما سمع عمرو ذلك أتى النعمان فشكا مخالسا، فأرسل النعمان فجيء بمخالس، فقال له: لا أم لك، أتهجو أخي ؟ قال: ما فعلت ! فقال قاصر: لقد هجاه وما أروانيها سواه. فقال مخالس: استدلل على كذبه بقوله إني أرويته مع ما تعرف من عداوته لي، فعرف النعمان صدقه، فلما خرجا، قال مخالس لقاصر: لأنت أضيق جحرا من نقاز، وأقل قرى من الحامل على الكراز، فأرسلها مثلا.

٥٥ - حَسْبُكَ مِنْ غِنىً شِبَعٌ وَرِيٌّ .

المثل لامرئ القيس بن حجر، وهو مما نقم عليه، ونسب فيه إلى تناقض القول، وذلك أنه قال:

ألا إلا تكن إبل فمعزى　　　كأن قرون جلتها العصي

فتملأ بيتنا إقطا وسمنا　　　وحسبك من غنى شبع وري

بعد أن قال:

فلو أنني أسعى لأدنى معيشة　　　كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل　　　وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

(١) الكرّازُ: الطبشُ الذي لا قرن له يحملُ عليه الراعي خُرْجَه.

- فقال ابو سفيان: يا ابن الخطاب إنه يوم الصمت يوما بيوم بدر.. وإن الأيام دول.. وإن الحرب سجال[١].

(١) المساجلة: أن تصنع مثل صنيع صاحبك من جرى أو سقى.. وأصله من السجل.. وهو الدلو فيها ماء قل أو كثر.

- فقال عمر: ولا سواء.. قتلانا فى الجنة.. وقتلاكم فى النار.
- فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك..لقد خبنا إذن وخسرنا.

٦٠- حِينَ تَقِيلِينَ تَدْرِينَ.

دخل رجل على عاهرة وتمتع بها.. وأعطاها أجرها.. ثم سرق مقلى لها.. فلما أراد الانصراف قالت له: لقد غبنتك لأنى كنت أحوج إلى تلك المعاشرة منك.. فقضيت حاجتى منك.. وأخذت دراهمك.. فقال لها الرجل: حين تقلين تدرين.. أى بعد أن تنامى القيلولة وتستيقظين سوف تدرين الحقيقة.. أى تكتشف السرقه.

يضرب المثل للمغبون يظن أنه الغابن غيره.

٦١- حَكِيمٌ !

لما مات بعض الخلفاء، اختلفت الروم، واجتمعت ملوكها؛ فقالوا: الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض، فتمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم، وعقدوا لذلك المشورات، وترجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر.

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائبا عنهم، فقالوا: من الحزم عرض الرأى عليه، فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال: لا أرى ذلك صوابا؛ فسألوه عن علة ذلك؛ فقال: فى غد أخبركم.

فلما أصبحوا أتوا إليه، وقالوا: قد وعدتنا أن تخبرنا فى هذا اليوم بالرأى فيما عولنا؛ فقال: سمعا وطاعة ! وأمر بإحضار كلبين عظيمين، كان قد أعدهما، ثم حرش بينهما، وحرض كل واحد منهما على الآخر؛ فتواثبا وتهارشا، حتى سالت دماؤهما.

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده، وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه، وتألفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه.

٦٢- أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ .

أبو غبشان من قبيلة خزاعة بجوار الكعبة.. وكانت معه مفاتيح البيت الحرام.. وكانت قريش تتوق إلى أخذ هذه المفاتيح.. فاجتمع أبو غبشان مع قصى بن كلاب على السكر والشرب.. فأعطاه قصى زجاجة خمر مقابل ولاية البيت.. فسار قصى بالمفاتيح إلى مكه.. وقال:

- يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل ردها الله من غير غدر ولا ظلم.

فلما أفاق أبو غبشان وندم.. قيل: (أحمق من أبى غبشان).. وصارت مثلا.

٦٣- الْحدِيثُ ذُو شُجُونٍ .

أي أنه لحديث يجر بعضه بعضا. وقيل في مثل آخر: (الحديث أنزى من الظبي)، أي يفتح بعضه بعضا.

أول من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجه ابنيه في طلبها، فتفرقا، فوجدها سعد فردها، ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بردان، فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه. فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال: أسعد أم سعيد ؟ فذهب قوله مثلا يضرب في

النجاح والخيبة. فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حج فأتى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال: بلى، لقيت غلاما وهما عليه فسألته إياهما فأبى علي، فقتلته وأخذت برديه هذين، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، فقال: أعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه من يده هزه وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه به فقتله، فقيل له: يا ضبة، أفي الشهر الحرام ؟ قال: سبق السيف العذل. فهو أول من سار عنه هذه الأمثال الثلاثة.

٦٤- الْخَلاَءُ بَلاءٌ[(١)]

المثل للقمان بن عاد، وفي حديثه: خرج لقمان يطوف، فإذا هو بخباء في قفر من الأرض، وامرأة جالسة في ظله ومعها رجل تحدثه، وإذا بو (ولد الناقة) بالفناء، وسقب ناقة (ولد الناقة ساعة يولد)، وصبي يبكي في كسر الخباء لا يرفعان له رأسا. فوقف لقمان فحيا فلم يردا عليه، فقال: (شغلك بنفسك لا شغلك بغيرك) فأرسلها مثلا، ثم سلم ثانية فردا، والتفت فلم ير حولهما أحدا، فقال: (الخلاء بلاء، ورب داعية لواعية) فأرسلها مثلا، فقالت المرأة: من أنت ؟ قال: من بعض هذه البلاد، من واد إلى واد، وإن مجلسكما لطريف غير تليد، قالت وما أدراك؟ قال: الطريف خفيف، والتليد تليد، قالت ما حاجتك ؟ قال: طفيف لو وجدت من يضيف، قالت: اللبن وراءك والماء أمامك، قال: (المنع أوجز) فأرسلها مثلا، قال: من هذا الذى معك؟ قالت: أخي، قال: (رب أخ لم تلده أمك) فأرسلها مثلا، قال فأين شبهه منك؟ قالت: إنك لكثير الكلام، قال: الكلام يجر الخصام، قالت: أغيران أنت لغيرك؟! قال: من لا يغضب للناس لا يغضبون له، قالت: انطلق لحال بالك، قال: ذاك الموت

(١) لعل ما في رواية هذا المثل من كثرة الأمثال ما يدفع إلى إثباتها بتمامها.

وليس بيدك، قالت: اذهب لشأنك، قال: لو قضيت أربا لرأيت مذهبا، أما لكم في صبيكم هذا حاجة ؟ قالت: دع عنك ما لا يعنيك، قال: (رب ما لا يعنيني سيعنيك) فأرسلها مثلا، فقال أكفلوني هذا الصبي، قالت: ذاك إلى هانئ، قال: (وهانئ من العدد) فأرسلها مثلا، والتفت فإذا أثر يد عسراء عند الطنب، فعرف أنه زوجها، فقال: (ثكلت الأعسر أمه، لو علم لطال غمه) فأرسلها مثلا، فلما سمعت ذلك قالت: انزل نطعمك ونسقيك، قال: (منعت واحدا وجدت باثنين، البين البين، والعيش بالهين خير من الاكل باليدين) فأرسلها مثلا، فقالت: انزل فعندنا ما تحب، قال: المبيت على الطوى، وطي الحشا، حتى أصيب المثوى، أحب إلى من أخذ ما لا أهوى. ثم مضى فتلقى زوجها في طرف الأصيل، وهو يطرد إبله، ويقول:

سيرى إلى الحي ففيهم نفسي ... فعيشتي يوم أزود عرسي
حسانة المقلة ذات أنس ... لن أشري اليوم لها بالأمس

فقال له لقمان: يا هانئ، قال: لبيك، وما أعلمك باسمي وأنا أعرف بكنيتي ؟ فقال: علمنيه البجاد ذو الحلكة، والزوجة المشتركة، قال: نور نور، ولا تبعثر، قال: البعثرة تخرج الخبأة، وعلي التنوير وعليك التغيير، فرويدا إبلك، لست لمن ليس لك، قال: ما أدراك أن الإبل إبلي والأهل أهلي ؟ قال: رأيت عفاء هذه الإبل على الباب، وسقب هذا الناب، وآثار يدك على الأطناب، قال: نشدتك هل رأيت من ريبة ؟ قال: الريبة القريبة، هل لامرأتك من أخ لا يشبهها ؟ قال: لا والكعبة، قال: احترس واضرب، وأقم ولا تغب، قال: (لا بد من غفلة، والغفلة معها الهفوة، ويسير الشر شوى مع كثيره) فأرسلها مثلا، قال: أفلا أبدؤها بكية تزيرها المنية ؟ قال: (اللحي أيسر من الوهي، وآخر الدواء الكي).

٦٥- أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ .

وعد (عرقوب) رجلا ثمرة نخلة.. فجاء الرجل إلى عرقوب حين كبرت النخلة.. يطلب منه الوفاء بوعده.. فقال له عرقوب:

- دعها حتى تصير بلحا.. فلما أبلحت.. قال عرقوب للرجل:
- دعها حتى تصير زهوا.. فلما أزهت.. قال عرقوب:
- دعها حتى تصير رطبا.. فلما أرطبت.. قال عرقوب:
- دعها حتى تصير تمرا.. فلما أتمرت.. ذهب عرقوب إلى النخلة فقطعها.. ولم يعط الرجل منها شيئا.

فصار مثلا فى خلف الوعد.

والعرب تقول: (مواعيد عرقوب).. وتعنى مواعيد فيها خلف.

والمراد من المثل: شدة الصفة فيمن يخلف موعده.

٦٦- دَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ .

منشم امرأة من خزاعة كانت تبيع الحنوط، فتشاءموا بها، وعطرها حنوطها، وقيل: كانت عطارة، إذا تعطر القوم بعطرها اختلفوا وتقاتلوا، فتشاءموا بها.

قال: هي امرأة من العرب، أغار عليها قوم فأخذوا عطرا كان معها، فأقبل قومها، فمن وجدوا منه ريح العطر قتلوه. وقيل: هي حقوة، أخذ قوم عطرها، فجاء قومها، فقالوا: اقتلوا من شم، أي من شم من العطر المأخوذ منها. وقال: هي امرأة من جرهم، كانت إذا خرجت فتيانهم لقتال خزاعة تطيبهم، فيشتد قتالهم، فلا يرجع أحد ممن طيبته، وإن رجع رجع جريحا، وقيل: هي امرأة أحدثت عطرا فطيبت به

رجلا، فشم زوجها منه ريحه فقتله، واقتتل من أجله حياهما حتى تفانوا. وقيل: سار هذا المثل في يوم حليمة. وقيل: هي امرأة نافرت زوجها فأدماها، فقيل لها: بئس العطر عطرك زوجك.

٦٧- أَدْرِكْنِي وَلَوْ بِأَحَدِ المغروين

كان رجلان من أهل هجر أخوان.. ركب أحدهما ناقة صعبة.. وكان أهل هجر يشتهرون بالحماقة.. وحدث أن الناقة شردت.. وكان مع الذى لم يركب الناقة منهما قوس.. واسمه هنين.. فناداه الراكب منهما على الناقة فقال:

– يا هنين ويلك أدركنى ولو بأحد المغروين.. يعنى سهمه.. فرماه أخوه بالسهم فقتله.. فذهب قوله مثلا.. يضرب عند الضرورة ونفاذ الحيلة.

٦٨- دَاهِيَةُ الْغَبَرِ.

يقال ذلك للرجل الماكر، الغاية في الدهاء، وأصل الغبر من قولهم: غبر الجرح، إذا فسد، وكان كذاب الحرمازي يمدح فيعطى الشاة والقعود، فقال: دلوني على رجل جواد إذا امتدحته زعب لي، أي أكثر عطيتي، فدل على المنذر بن الجارود، فقال:

يا ابن المعلى أجحفت إحدى الكبر ... داهية الدهر وصماء الغبر
قد أزفت إن لم تغير بغير ... إن لم تداركها بإغلاء الخطر
أنت لها منذر من بين البشر ... أنت لها إذ عجزت عنها مضر
إن الجياد الظالعات في الغدر ... إليك أشكو حاجتي ومفتقر

ومقعد السائل مطروق النظر

فقال له المنذر: أنا لها (حكمك مسمطا) فقال له: مائة، فقال: تغدو عليها غدا، فظن أنه لا يعلم أنه يسأله مائة ناقة، فقال: اجعلها بيضا، فقال له المنذر: تبا لك سائر اليوم، لك مائة ومائة، حتى انقطع نفسه، فقيل له: كم عد لك؟ قال: ثلاثمائة، فضحكوا منه، فقال: لعنكم الله، لقد قترتم علي حتى ظننت أنه لا عدد أكثر من ثلاثمائة.

٦٩- دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِه .

يضرب مثلا للشيء يهلك من حيث يهلك مثله، ثم يتبعه الشيء الذي لم يكن جديرا بالهلاك.

والمثل لامرئ القيس بن حجر، وأصله أنه نزل على خالد بن سدوس النبهاني، فأغار باعث بن حويص على إبله. فبلغ الخبر امرؤ القيس، فذكره لخالد، فقال خالد: أعطني رواحلك أطلب عليها القوم، فركبها ومضى، فلحق القوم، فقال لهم: أغرتم على إبل جاري ! قالوا: ما هو لك بجار، قال: بلى والله، وهذه رواحله تحتي، فأنزلوه عنها فأخذوها، فقال امرؤ القيس:

دع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

يقول: دع نهبا صاح باعث في نواحيه، فغير منكر أن يكون مثل ذلك، ولكن حدثني حديث الرواحل التي كنا نريد أن نستنقذه بها فذهبت هي أيضا.

٧٠- دُونَ ذا وَيَنْفَقُ الحِمَارُ .

يضرب مثلا للرجل يكثر من مدح الشيء، فيقال له: اقتصد، فبدون هذا المدح تبلغ حاجتك.

وأصله أن رجلا أراد أن يبيع حمارا، فجعل يمدحه، فقيل له: أقلل، فبدون ذلك يخرج حمارك في البيع. وهو من أمثال العامة، يقولون: دون هذا وينفق الحمار. والوجه ما مثلناه. والعرب تقول في معناه: (شاكه يا فلان) أي قارب في المدح، وأصله أن رجلا عرض فرسا، فقال له رجل: شاكه، أي قارب في المدح ولا تفرط فيه، ومشاكه الشيء: الذي يدنو من شبهه.

وكلام العرب هو الأول، ومن هذا قولهم: (لا تهرف بما لا تعرف) والهرف هو الإطناب في الثناء والمدح، ويروى عن وهب بن منبه أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك.

٧١- دُه دُرَّيْن سعدِ القَيْنِ.

هذا المثل قد تكلم فيه كثير من العلماء، فقال بعضهم: الأصل فيه أن العرب تعتقد أن العجم أهل مكر وخديعة، وكان العجم يخالطونهم، وكانوا يتجرون في الدر، ولا يحسنون العربية، فإذا أرادوا أن يعبروا عن العشرة قالوا: ده، وعن الاثنين قالوا: دو، فوقع إليهم رجل معه خرزات سود وبيض، فلبس عليهم وقال: دو درين، أي نوعان من الدر، أو ده درين، أي قال: عشرة منه بكذا، ففتشوا عنه فوجدوه كاذبا فيما زعم، فقالوا: ده درين، ثم ضموا إلى هذا اللفظ (سعد القين) لأنهم عرفوه بالكذب حين قالوا: إذا سمعت بسرى القين فإنه مصبح، فجمعوا بين هذين اللفظين في العبارة عن الكذب، وثنوا قولهم (درين) لمزاوجة القين، فإذا أرادوا أن يعبروا عن الباطل تكلموا بهذا، ثم تصرفوا في الكلمة فقالوا: دهدر، ودهدن، ودهدار، وجعلوها كلها أسماء للباطل والكذب.

٧٢- رُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكلاتٍ .

كان عامر العدواني معتزا بقوته وسلطانه، وذات عام كان يحج فيدفع الناس فى الحج، فرآه ملك من ملوك غسان فعزم على الحط من عزته، فلما عاد إلى بلده دعاه لزيارته موهما إياه أنه يريد أن ينتفع به فى شئون ملكه.

وذهب عامر مع بعض قومه إلى ذلك الملك، فلما قدموا عليهم أكرمهم وأظهر العناية بهم، لكن عامرا اكتشف بعد قليل حقيقة الأمر، وفطن لما يقصده الملك من دعوته، فجمع أصحابه وسألهم رأيهم فيما هم فيه، فأثنوا على الملك، وشكروا له إكرامه إياهم وعنايته بهم، وقالوا إنهم ينتظرون منه خيرا مما يرون.

وعلم عامر أن قومه خدعوا بما يصنعه الملك فقال: (لا تعجلوا فإن لكل عام طعاما، ورب أكلة تمنع أكلات).

أى قد يدفع المرء حرصه على الطعام أن تقدم له أكلة فيلتهمها دون أن يتبين ما فيها، فتكون مسمومة فتقتله، وتمنعه غيرها.

٧٣- رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصاحِبِها دَعْنِي .

مثل يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار.

ذكروا أن ملكا من ملوك حمير خرج متصيدا ومعه نديم له كان يقربه ويكرمه، فأشرف على صخرة ملساء ووقف عليها، فقال له النديم: لو أن إنسانا ذبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه؟ فقال الملك: اذبحوه عليها ليرى دمه أين يبلغ، فذبح عليها، فقال الملك: رب كلمة تقول لصاحبها دعني.

٧٤- رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ

قالوا: رب رمية مصيبة حصلت من رام مخطئ، لا أن تكون رمية من غير رام، فإن هذا لا يكون قط. وأول من قال ذلك الحكم بن عبد يغوث المنقري، وكان أرمى أهل زمانه، وآلى يمينا ليذبحن على الغبغب مهاة[١]، ويروى ليدجن[٢]، فحمل قوسه وكنانته، فلم يصنع يومه ذلك شيئا، فرجع كئيبا حزينا، وبات ليلته على ذلك، ثم خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون، فإني قاتل نفسي أسفا إن لم أذبحها اليوم؟ ويروى أدجها. فقال له الحصين بن عبد يغوث أخوه: يا أخي، دج مكانها عشرا من الإبل ولا تقتل نفسك، قال: لا واللآت والعزى لا أظلم عاترة، وأترك النافرة. فقال ابنه المطعم بن الحكم: يا أبت، احملني معك أرفدك، فقال له أبوه: وما أحمل من رعش وهل، جبان فشل، فضحك الغلام وقال: إن لم تر أوداجها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها، فانطلقا، فإذا هما بمهاة، فرماها الحكم فأخطأها، ثم مرت به أخرى فرماها فأخطأها، فقال مطعم: يا أبه، أعطني القوس، فأعطاه إياها فرماها فلم يخطئها، فقال أبوه: رب رمية من غير رام.

٧٥- رَمَى بِسَهْمِهِ الأَسْوَدِ الْمُدْمى

أصل هذا المثل أن الجموح أخا بني ظفر أغار على بني لحيان، فهزم أصحابه وفي كنانته نبل معلم بسواد، فقالت له امرأته: أين النبل التي كنت ترمي بها؟ فقال:

قالت خليدة لما جئت زائرها ... هلا رميت ببعض الأسهم السود

يضرب للرجل لا يبقى في الأمر من الجد شيئا.

(١) الغبغب: اسم الصنم الذى كانوا يعبدون (٢) يدجن: يفدى نفسه.

٧٦- رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ .

تزوج رجل من العرب امرأة جميلة على ضرائر، فكن يغرن منها، ويحاولن إيذاءها، فيسابينها بكلمة ليست فيها، فكانت تتألم من هذا الافتراء.

وضاقت المرأة بضرائرها فشكت إلى أمها ما يصنعن، فعلمتها أمها أن تبدأهن هى بهذه الكلمة إذا سابينها، فارتقبت حتى إشتبكت احداهن معها، فبدأتها بتلك الكلمة فقالت ضرتها: (رمتنى بدائها وانسلت).

أى ألصقت بى ما بها وخرجت منه.

وهكذا قد يلصق المرء بالآخر ما ليس فيه، ويعيبه بعيب هو نفسه متصف به، كما لو رمى الغبى الأذكياء بالغباء، أو اتهم السارق الأبرياء، أو ألصق المتسبب فى الخسارة جرمه بباقى الشركاء، أو اتهم الفارون من المعركة غيرهم بالجبن، أو ألصق امرؤ جريمته بغيره ليبعد الشبهة عن نفسه فحينذاك يقال: (رمتنى بدائها وانسلت).

أى عيرتنى بعيب هو فيها، وألصقت بى ما ليس فى.

٧٧- رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثا .

والمثل لمالك بن عمرو بن عوف بن محلم، وذلك أن أخاه ليثا تزوج خماعة بنت فلان، فتحمل للنجعة بها، فنهاه مالك وقال: إني أخاف عليك بعض مقانب (جماعة الخيل والفرسان) العرب أن يصيبك، فأبى وسار بأهله وماله، فلم يلبث يسيرا حتى جاء وقد أخذ ماله وأهله، فقال مالك: رب عجلة تهب ريثا) ورب فروقة يدعى ليثا، ورب غيث لم يكن غيثا)، فذهب كلماته أمثالا.

ويضرب مثلا للرجل يشتد حرصه على الحاجة، فيخرق فيها، ويفارق التؤدة في التماسها، فتفوته وتسبقه، وأصله في الرجل يغذ السير ويواصله حتى يعطب ظهره فيقعد عن حاجته. الريث: الإبطاء، راث يريث ريثا إذا أبطأ، والعامة تقول في معنى هذا المثل: (تمشي، وتدوم خير من أن تعدو ولا تقوم) ويرويه من لا يعرف: (تهب ريثا) بالتشديد، وهو خطأ، إنما تهب من الهبة، ومنه أخذ القطامي قوله:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

٧٨- رُبَّ قَوْلٍ يُبْقِي وَسْماً .

أول من قال ذلك أعرابي، وكان رث الحال، فقال له رجل: يا أعرابي، والله ما يسرني أن أبيت لك ضيفا ! فقال الأعرابي: فوالله لو بت ضيفا لي لأصبحت أبطن (كبير البطن) من أمك قبل أن تلدك بساعة، إنا إذا أخصبنا فنحن آكل للمأدوم وأعطى للمحروم، ولرب قول يبقي وسما، قد رده منا فعال تحسم ذما. فذهبت من قوله مثلا.

٧٩- رُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ (ويروى معه (وَآكِلٍ غَيْرِ حَامِدٍ)

أول من قاله النابغة الذبياني، وكان وَفَدَ إلى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق، فمات عنده، فلما حبا النعمان الوفود بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد، فقال النابغة حين بلغه ذلك: رب ساع لقاعد، وقال للنعمان:

أبقيت للعبسي فضلا ونعمة ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله حباء ونعمة ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

٨٠- رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ .

أصله أن حنينا كان إسكافا من أهل الحيرة، فساومه أعرابي بخفين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ حنين أحد خفيه وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر. فلما مر الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، وقد كمن له حنين، فلما مضى الأعرابي فى طلب الأول عمد حنين إلى راحلته وما عليها فذهب بها. وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخفان، فقال له قومه: ماذا جئت من سفرك ؟ فقال: جئتكم بخفي حنين، فذهبت مثلا.

يضرب مثلا عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

٨١- زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً .

المثل للنبي ﷺ، والغب أن تزور يوما وتدع الزيارة يوما، وقد أغب الزيارة. والغاب من اللحم ما قد بات ليلة، وغب الشيء ومغبته، وغب المطر: أول أوقات انقطاعه.

قال بعض الشعراء في معنى هذا المثل:

وقـد قال النبـي وكان برا ... إذا زرت الحبيب فزره غبا

وقال غيره:

أقلل زيارتك الحبيـب ... تكون كالثـوب استجده

وأمـل شـيء لامـرئ ... ألا يـزال يراك عـنـده

٨٢- زَوْجٌ مِنْ عُودٍ خَيْرٌ مِنْ قُعُودٍ .

يضرب في تفضيل النساء الزواج على العزوبة.

وأصله أن ذا الإصبع العدواني كان رجلا غيورا وله بنات أربع، وكان لا يزوجهن غيرة، فاستمع عليهن يوما وقد خلون يتحدثن، فقالت قائلة منهن: لتقل كل واحدة منا ما في نفسها، ولنصدق جميعا، قالت كبراهن:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى ... حديث شباب طيب النشر والذكر

لصوق بأكباد النساء كأنه ... خليقة جار لا يقيم على هجر

وقالت الثانية:

ألا ليته يعطى الجمال بديهة ... له جفنة تشفى بها النيب والجزر

له حكمات الدهر من غير كبرة ... تشين فلا وان ولا ضرع غمر

وقالت الثالثة:

ألا هل تراها مرة وحليلها ... أشم كنصل السيف عين المهند

عليم بأدواء النساء ورهطه ... إذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

فقلن لها: أنت تريدين ابن عم لك قد عرفته، وقلن للصغرى: ما تقولين؟ قالت: لا أقول شيئا، فقلن: لا ندعك وذاك، إنك قد اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك، فقالت: زوج من عود خير من قعود. وخطبن بعد وقت، فزوجهن جميعا.

٨٣- زَيْنَبُ سُتْرَةٌ .

قيل هي زينب بنت عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المخزومي، وكانت عجوزا مسنة، ولها جوار مغنيات، وكان ابن زهيمة المدني الشاعر- واسمه محمد مولى

خالد بن أسيد- يتعشق بعض جواريها، ويشبب بها، ويغنيه يونس الكاتب ويلقيه على جواريها، فيسر بذلك، ويصلها ويكسوها، فمن قوله فيها:

أقصدت زينب قلبي بعدما ... ذهب الباطل مني والغزل

وله فيها أشعار، ثم إن (زينب) حجبتها لشيء بلغها، فقال ابن زهيمة:

وجد الفؤاد بزينبا ... وجدا شديدا متعبا
أمسيت من كلف بها ... أدعى الشقي المسهبا
ولقد كنيت عن اسمها ... عمدا لكيلا تغضبا
وجعلت زينب سترة ... وكنيت أمرا معجبا

٨٤- زِدْهُمْ أَعْنُزاً.

قيل في هذا إن كعب بن ربيعة اشترى لأخيه كلاب بن ربيعة بقرة بأربعة أعنز، فركبها كلاب وألجمها من قبل استها وحول وجهه إليها، ثم أجراها، فأعجبه عدوها، فالتفت إلى أخيه وقال: زدهم أعنزا، فذهبت مثلا حين أمر بالزيادة بعد البيع.

يضرب مثلا للأحمق.

٨٥- زُيِّنَ في عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدُهُ.

يضرب في عجب الرجل برهطه وعترته.

ويروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قيل له: لو بايعت لابنك عبد الملك مع فضله وشأنه وورعه، فقال: لولا أني أخشى أن يكون زين في عيني منه ما يزين للوالد من ولده لفعلت، ثم توفي عبد الملك قبل عمر.

٨٦- سَبَقَ السَّيْفُ الْعَذْلَ .

كان لضبة ابن أد ابنان؛ يقال لأحدهما سعد وللآخر سعيد، فنفرت إبل لضبة تحت الليل، فوجه ابنيه في طلبها، فتفرقا، فوجدها سعد، فردها. ومضى سعيد في طلبها فلقيه الحارث بن كعب، وكان على الغلام بردان، فسأله الحارث إياهما، فأبى عليه، فقتله وأخذ برديه.

فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال: أسعد أم سعيد ؟

فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حج فوافى عكاظ فلقي بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردي ابنه سعيد فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري: ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال: بلى، لقيت غلاما وهما عليه فسألته إياهما فأبى علي، فقتلته وأخذت برديه هذين.

فقال ضبة: بسيفك هذا ؟ قال: نعم ! فقال: فأعطنيه أنظر إليه فإني أظنه صارما، فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه من يده هزه وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه به حتى قتله، فقيل له: يا ضبة، أفي الشهر الحرام ؟ قال: سبق السيف العذل.

٨٧- سَكَتَ أَلْفاً وَنَطَقَ خَلْفاً .

كان أعرابى مع قوم فحبق حبقة.. وبعدها أخذ رأيه ومشورته فى أمر ما.. فأشار بإبهامه إلى استه وقال:

- إنها خلف نطقت خلفا.

والخلف: الردىء من القول وغيره.

والمعنى أنه سكت عن ألف كلمه.. وعندما نطق تكلم بالخطأ.

٨٨- سَعَيْت فَأَكْدَيْت، وَرَجَعْت فَرُزِقْت .

وفد عروة بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء، فلما دخلوا عليه عرف عروة، فقال له: ألست القائل:

لقد علمت الإشراف من خلقى — أن الذى هـو رزقى سوق يأتينى
أسعـى لـه فيعنينـى تـطلبـه — ولـو قعـدت أتانـى لا يعنينـى

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ! فقال له: يا أمير المؤمنين؛ زادك الله بسطة فى العلم والجسم، ولا رد وافدك خائبا، والله لقد بالغت فى الوعظ، وأذكرتنى ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى راحلته؛ فركبها وتوجه راجعا إلى الحجاز، فلما كان الليل ذكره هشام وهو فى فراشه، فقال: رجل من قريش قال حكمة، ووفد إلى فجبهته ورددته عن حاجته، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول.

فلما أصبح سأل عنه، فأخبر بانصرافه، فقال: لاجرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه. ثم دعا مولى له، وأعطاه ألفى دينار، وقال: الحق بهذه ابن أذينة، وأعطه إياها؛ فأدركه وقد دخل بيته، فقرع الباب عليه، فخرج إليه، فأعطاه المال.

فقال: أبلغ أمير المؤمنين قولى: سعيت فأكديت، ورجعت إلى بيتى فأتانى رزقى.

٨٩- سَدَّ ابْنُ بَيْضِ الطَّرِيقَ .

يضرب مثلا للحاجة يحول دونها حائل. وأصله أن ابن بيض، رجل من العمالقة، ويقال من عاد، كان لقمان بن عاد يجيره فى تجارته، ويعطيه كل عام ألفا وحلة وجارية، فلما حضر ابن بيض الوفاة قال لابن له: لاتجاورن لقمان في أرضه، فإني

أخافه على مالك، واخرج بأهلك ومالك سرا منه، فإذا صرت إلى عقبة كذا فضع حقه عليها، فإن اقتصر عليه فحقه، وإن تعداه إلى مالك أخذه الله. ففعل ابنه، وتبعه لقمان، فلما انتهى إلى العقبة وجد حقه فأخذه وانصرف، وقال: (سد ابن بيض الطريق) فذهبت مثلا. قال عمرو بن الأسود الطهوي:

سددنا كما سد ابن بيض فلم يكن ... سواهـا لدى أحلام قومـي مذهب

٩٠- سَاعِدَايَ أَحْرَزُ لَهُما .

أول من قال ذلك مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان أحمق، فزوجه أخوه سعد بن زيد مناة نوار بنت حل بن عدي بن عبد مناة بن أد، ورجا سعد أن يولد لأخيه، فلما بنى مالك بيته وأدخلت عليه امرأته، انطلق به سعد حتى إذا كان عند باب بيته قال له: لج بيتك، فأبى مالك مرارا، فقال سعد: لج مال ولجت الرجم، والرجم القبر، ثم إن مالكا ولج ونعلاه معلقتان في ذراعيه، فلما دنا من المرأة قالت: ضع نعليك، قال: ساعداي أحرز لهما، فأرسلها مثلا. ثم أتى بطيب فجعل يجعله في استه، فقالوا: ما تصنع؟ قال: استي أخبثي، فأرسلها مثلا.

٩١- سُرِقَ السَّارِقُ فَانْتَحَرَ .

يضرب مثلا للرجل ينتزع من يده ما ليس له فيجزع، يقال: سرقت الرجل وسرقت منه، كما يقال: وزنته ووزنت له. والانتحار: أن ينحر الرجل نفسه. ومعنى النحر ها هنا: كاد ينتحر، ويقولون: فلان يقتل نفسه من الغيظ، أي كاد يقتلها.

ويقال: انتحر الرجل إذا نحر نفسه حزنا على ما فاته. وأصله أن سارقا سرق

شيئا فجاء إلى السوق ليبيعه، فسرق، فنحر نفسه حزنا عليه، فصار مثلا للذي ينتزع من يده ما ليس له فيجزع عليه. وتقدير المثل: سرق السارق سرقته، أي مسروقه، فانتحر: أي صار منحورا كمدا.

٩٢- سَاءَ سَمْعاً فَأَساءَ جَابَةً .

أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه، يريد التحى، فوقفا بجزورة مكة، فأقبل الأخنس بن شريق اللقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال الأخنس: حياك الله يا فتى، قال: لا والله ما أمي في البيت، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: (ساء سمعا فأساء جابة)، فأرسلها مثلا، فلما رجعا قال أبوه: فضحني ابنك اليوم عند الأخنس، قال كذا وكذا، فقالت الأم: إنما ابني صبي، قال سهيل: (أشبه امرؤ بعض بزه) فأرسلها مثلا.

قال أبو العتاهية فنظم هذا المثل:

إذا لم يكن لك حسن فهم أسأت إجابة وأسأت سمعا

وقال الكميت (وجابة في شعره مصدر):

وما من تهتفين به لنصـــر بأسرع جابة لك من هديل

فالهديل لا يجيب لأن العرب تقول إنه كان في سفينة نوح عليه السلام فوقع في الماء وغرق، فالطير كلها تبكي عليه.

٩٣- سَقَطَ الْعَشَاءُ بِهِ عَلى سِرْحانٍ.

خرج رجل يلتمس العشاء، فوقع على سرحان، وهو الذئب والجمع السراحين، وروي أن يزيد بن رويم قال لابنه، وقد أراح إبله ذات عشية بئس ما عشيتها، ردها إلى مرعاها، فقال الغلام: أظن والله أن سيبيت لها رب غيرك، ومعش غيري، فنفض ثوبه في وجهها فعادت إلى مرعاها، فاتيح لها سرحان بن أطاة بن خنش، فساقها وأردف الغلام، وجعل يشد به، فأنشأ الغلام يقول:

يا لهف أم علي حزينة ذكري لها شجن من الأشجان

إن الذي ترجين نفع إيابه سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر ماضي الجنان معاود التطعان

والمتقمر هو الذي يأخذ الشيء غصبا وغلبة،

ويضرب المثل للحاجة التى تؤدي بصاحبها إلى الهلاك.

٩٤- سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ.

يضرب مثلا لسوء الجزاء، ومثله قول مالك بن أسماء:

هم سمنوا كلبا ليأكل بعضهم ولو عملوا بالحزم ما سمنوا الكلبا

وقول مجير الضبع (أم عامر):

ومن يجعل المعروف في غير أهله يلاق الذي لاقى مجير أم عامر

أعد لها لما استجارت ببيته لتأمن ألبان اللقاح الدرائر

فأسمنها حتى إذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من يوجه معروفا إلى غير شاكر

ويروى المثل أيضا بلفظ (أسمن). قيل: أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني. وذلك أنه وجد طفلا صغيرا في الفلاة، فحمله ورعاه، حتى شب واغتلم، وصار يجتمع ابنة حازم، ففطن أبوها، فخرج حيث كانا يجتمعان ، فلما رآهما قال: سمن كلبك يأكلك، فأرسلها مثلا، وشد من ثم على الشاب بالسيف فأفلت ولحق بقومه همدان، وانصرف حازم إلى ابنته وهو يقول: موت الحرة خير من العرة، فأرسلها مثلا، فلما وصل إليها وجدها قد اختنقت فماتت، فقال: هان علي الثكل لسوء الفعل، فأرسلها مثلا.

٩٥- سُرْعانَ ذا إهالَةً .

سرعان: بمعنى سرع، نقلت فتحة العين إلى النون فبني عليها، وكذلك وشكان وعجلان وشتان، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: هي ثلاث كلمات سرعان وعجلان ووشكان، وفي وشكان وسرعان ثلاث لغات: فتح الفاء وكسرها وضمها، تقول العرب: لسرعان ما خرجت.

وأصل المثل أن رجلا كانت له نعجة عجفاء، وكان رغامها يسيل من منخريها لهزالها، فقيل له: ما هذا الذي يسيل ؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، نصب إهالة على الحال، وذا: إشارة إلى الرغام، أي سرع هذا الرغام حال كونه إهالة، ويجوز أن يحمل على التمييز على تقدير نقل الفعل، مثل قولهم: تصبب زيد عرقا.

يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

٩٦- أَسْخَى مِنَ الْبَحْرِ إذا زَخَرَ.

حبس معاوية عن الحسين بن علي صلاته، حتى ضاقت عليه حاله، فقيل له: لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله بن العباس، فإنه قدم بنحو من ألف ألف درهم!

فقال الحسين: وأين تقع ألف ألف من عبيد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصف، وأسخى من البحر إذا زخر، ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب، ذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله، وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم.

فلما قرأ عبيد الله كتابه– وكان من أرق الناس قلبا، وألينهم عطفا انهملت عيناه، ثم قال: ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الإثم حين أصبحت لين المهاد، رفيع العماد، والحسين يشكو من ضيق الحال، وكثرة العيال!

ثم قال لقهرمانه: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة! وأخبره أنى شاطرته مالى، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر الآخر. فقال له القيم: فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها؟ قال: إذا بلغنا ذلك دللتك على أمر تقيم به حالك.

فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين، قال: إنا لله! حملت والله على ابن عمى، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله، فأخذ الشطر من ماله؛ وهو أول من فعل ذلك فى الإسلام.

٩٧- شَوَلاَنَ البُـرُوقِ.

يضرب مثلا للرجل يوهم أنه صادق وليس به صدق.. والبروق والمنبرق: الناقة التى تشول بذنبها وتقطع بولها وتوهم أنها لاقح وليست بلاقح.. فشبه الرجل المتصنع الكذب بها.

وصاحب المثل هو نهشل بن دارم وذلك أنه حضر مع أخيه مجاشع بن دارم مجلس بعض الملوك.. فأعجب الملك جماله وهيئته.. وأحب أن يسمع كلامه.. فقال له أخوه مجاشع: كلم الملك.

فقال: إنى والله لست من تكذابك وتأثامك.. وإنك لتشول شولان البروق.

فذهبت مثلا.

٩٨- الشَّحِيحُ أَعْذَرُ مِنَ الظَّالِمِ .

جمع عامر بن صعصعة أولاده عند موته ليوصيهم.. فمكث طويلا لا يتكلم.. فاستحثه بعضهم أن يتكلم فقال:

- إليك يساق الحديث.. ثم قال: يا بني جودوا ولا تسألوا الناس.. واعلموا أن الشحيح أعذر من الظالم.. واطعموا الطعام.. ولا يستذلن لكم جار.

ويقصد به الشحيح أعذر من الظالم.. أى من بخل عليك بماله فشتمته فقد ظلمته.. وهو أعذر منك.

٩٩- الشَّماتَةُ لُؤْمٌ .

فى حديث أيوب عليه السلام أنه لما خرج من البلاء الذى كان فيه.. قيل له: أى شيء كان أشد عليك من جملة ما مر بك ؟

- قال أيوب عليه السلام: شماتة الأعداء.

والمراد من المثل أنه لا يفرح بنكبة الإنسان إلا من لؤم أصله.

١٠٠- شُغِلَ عَنِ الرّامِي الكِنانَة بِالنَّبْلْ.

أصله أن رجلا من بني فزارة ورجلا من بني أسد كانا متواخيين، وكانا راميين لا يسقط لهما سهم، ومع الفزاري كنانة جديدة، ومع الأسدي كنانة رثة، فأعجبته كنانة الفزاري، فقال الأسدي: أينا ترى أرمى أنا أم أنت ؟ قال الفزاري: أنا أرمى منك، وأنا علمتك. قال الأسدي: انصب لي كنانتك وأنصب لك كنانتي، فقال له الفزاري: انصب لي كنانتك، فعلق الأسدي كنانته على شجرة، ورماها الفزاري، فجعل لا يرمي إلا شكها حتى قطعها بسهامه، فلما نفدت سهامه قال الأسدي: انصب لي كنانتك حتى أرميها، فرمى فسدد السهم نحوه، فشك كبد الفزاري، فسقط ميتا، فأخذ الأسدي قوسه وكنانته. قال الفرزدق:

فقلت أظن ابـن الخبيثـة أننـي   شغلت عن الرامي الكنانة بالنبل

يريد بهذا جريرا، يقول: أراد جرير بهجائه البعيث غيره وهو أنا، أي أرادني ولم يرد البعيث، كما أن الأسدي أراد رمي الفزاري ولم يرد رمي الكنانة. ومعنى المثل شغل فلان عن الذي يرمي الكنانة بالنبل، يعني أنه لم يعلم أن غرض الرامي أن يرميه لا أن يرمي كنانته.

يضرب لمن يغفل عما يراد به ويكاد له. وقريب منه بيت الحماسة:

فإن كنـت لا أرمـي وترمـي كنانتـي   تصب جانحات النبل كشحي ومنكبي

١٠١- شَبَّ عَمْرُوَ عَنِ الطَّوْقِ.

يضرب مثلا في تزيين الكبير بزينة الصغير. والمثل لجذيمة الأبرش في عمرو بن عدي، وكان عدي ينادمه، فعشقته رقاش أخت جذيمة، فحملت منه، فلما خشيت

الفضيحة قالت لعدي، إذا سكر الملك فاسأله أن يزوجني منك، ففعل، فدخل عليها من ليلته، وأصبح هاربا من جذيمة، فلما استبان حملها قال جذيمة:

حدثيني رقاش لا تكذبيني ألحــر حملت أم لـهجيــن

أم لعبد فأنت أهــل لعبــد أم لدون فـأنـت أهــل لدون

فقالت: حملت ممن زوجتني منه، فولد عمرا، ففقد مدة، ثم ظفر به مالك وعقيل القينيان فأتيا به جذيمة، فحكمهما، فسألاه منادمته، فأجابهما إليها، وأرسل عمرا إلى أمه فزينته وألبسته طوقا، فقال جذيمة: (شب عمر عن الطوق).

١٠٢- أَشْأَمُ مِنَ الزُّمَّاحِ.

وهو من أمثال أهل المدينة.

والزماح: هو طائر عظيم.. كان يأتي كل عام مرة واحدة فيقف على دار من دور بنى معاوية فى مواسم التمر.. فيأكل منها.. حتى إذا استوفى حاجته طار.. دون أن يتعرض له أحد.. حتى يعود فى نفس الموعد من العام المقبل.

وجاء فى أحد الأعوام.. فرماه رجل بسهم فقتله.. ثم قسم لحمه بين الجيران.. فلم يمتنع أحد عن أخذ لحمه إلا رفاعة بن مرار وأهله.

فلم يمر العام على أحد ممن أصاب من ذلك اللحم حتى مات.. وأما بنو معاوية فهلكوا جميعا حتى لم يبق منهم.

فصار الزماح يضرب مثلا فى شدة الشؤم والنحس.

١٠٣- صُغْراهُنَّ شُرَّاهُنَّ.

قال ذلك امرأة كانت في زمن لقمان بن عاد، وكان لها زوج يقال له الشجي، وخليل يقال له الخلي، فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي، فارتاب لقمان بأمرها، فتبعها، فرأى رجلا عرض لها ومضيا معا وقضيا حاجتهما، ثم إن المرأة قالت للرجل: إني أتماوت، فإذا أسندوني في رجمي فأتني ليلا فأخرجني ثم أذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلما سمع لقمان ذلك قال: ويل للشجي من الخلي، فأرسلها مثلا. ثم رجعت المرأة إلى مكانها وفعلت ما قالت، فأخرجها الرجل وانطلق بها أياما إلى مكان آخر، ثم تحولت إلى الحي بعد برهة، فبينما هي ذات يوم قاعدة، مرت بها بناتها، فنظرت إليها الكبرى فقالت: أمي والله، قالت الوسطى: صدقت والله، قالت المرأة: كذبتما ما أنا لكما بأم، ولا لأبيكما بامرأة، فقالت لهما الصغرى: أما تعرفان محياها، وتعلقت بها وصرخت، فقالت الأم حين رأت ذلك: صغراهن شراهن، فذهبت مثلا. ثم إن الناس اجتمعوا فعرفوها، فرفعوا القصة إلى لقمان بن عاد، وقالوا له: اقض بيننا، فلما نظر لقمان إلى المرأة عرفها، فقال: عند جهينة الخبر اليقين، يعني نفسه وما عاين منها، فأخبر لقمان الزوج بما عرف، وأقبل على المرأة فقص عليها قصتها كيف صنعت، وكيف قالت لصديقها، فلما أتاها بما لا تنكر قالت: ما كان هذا في حسابي، فأرسلتها مثلا. فقيل للقمان: احكم فيها، فقال: ارجموها كما رجمت نفسها في حياتها، فرجمت، فقال الشجي: احكم بيني وبين الخلي، فقد فرق بيني وبين أهلي، فقال: يفرق بين ذكره وانثييه، كما فرق بينك وبين أنثاك، فأخذ الخلي فجب (قطع) ذكره.

١٠٤ - أَصْبِحْ لَيْلُ .

كان امرؤ القيس بن حجر الكندي رجلا ثقيلا لا تحبه النساء.. ولاتكاد امرأته تصبر معه.. فلما تزوج امرأة من طيء.. ودخل بها.. أبغضته من الليلة الأولى.. وكرهت مكانها معه.. وفى تلك الليلة جعلت تقول له:

- يا خير الفتيان أصبحت أصبحت.. فيرفع رأسه فينظر فإذا الليل كما هو.. فتقول: أصبح ليل.

فلما أصبح قال لها: قد علمت ما صنعت الليلة.. وقد عرفت أن ما صنعت كان من كراهية مكانى فى نفسك فما الذى كرهت منى ؟.. ومازال بها حتى قالت:

كرهت منك أنك صفيف العزلة ثقيل الصدر.. سريع الإراقة.. بطىء الإفاقة.

وعندما سمع ذلك منها طلقها.. وذهب قولها: أصبح ليل مثلا.

١٠٥ - الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ .

تزوجت امرأة من العرب رجلا ذا مال، لكنه كان شيخا تقدمت به السن، فاختلفا فطلقها، وكان ذلك وقت الشتاء الذى يكثر فيه المرعى ويدر اللبن.

وتزوجت المرأة بعد طلاقها شابا جميلا، لكنه كان غير ثرى، فلما جاء الصيف احتاجت إلى اللبن، ولم يكن للبن وجود فى ذلك الوقت إلا عند زوجها الأول، فبعثت إليه ترجوه بعضا منه فأبى وصاح قائلا: (فى الصيف ضيعت اللبن).

أى أنك بسوء رأيك وفساد تدبيرك قد فوت على نفسك هذا اللبن الذى كنت ستجدينه فى الصيف عند الحاجة إليه، فحقك المنع وأولى بك الندامة.

وهكذا يقال لمن ضيع ما فى يده ثم طلبه بعد فواته.

فإذا أسرف رجل فى ماله ثم بحث عنه وقت العجز فلم يجده، أو أسرف فى صحته ثم جاء يطلبها وقت الشيخوخة، أو لم يسمع النصح فى وقته ثم راح ينشده بعد فوات الوقت، قيل فى ذلك وأمثاله: الصيف ضيعت اللبن.

١٠٦- صَدَقَنِي سِنُّ بَكْرِهِ .

يضرب مثلا للرجل يكذب في الأمر يدل بعض أحواله على الصدق فيه.

أصله أن رجلا ساوم رجلا ببعير، وسأل عن سنه فأخبره أنه بكر، ففر عنه فوجده هرما، فقال: صدقني سن بكره وكذبني هو. والبكر: الفتي من الإبل بمنزلة الفتي من الناس، والجمع أبكار والأنثى بكرة والجمع بكرات.

وقيل بل إن رجلا ساوم رجلا فى بكر فقال: ما سنه ؟ فقال صاحبه: بازل، ثم نفر البكر، فقال صاحبه: هدع هدع، وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الإبل، فلما سمع المشتري هذه الكلمة قال: (صدقني سن بكره) ونصب (سن) على معنى عرفني سن، ويجوز أن يقال: أراد صدقني خبر سن ثم حذف المضاف. ويروى (صدقنى سن) بالرفع، جعل الصدق للسن توسعا.

١٠٧- صَيْدَكَ إنْ لَمْ تُحْرَمْهُ .

وورد بلفظ (صيدك لا تُحْرَمه) و(صَيْدَك فلا تُحْرَمْهُ) ويضرب مثلا للرجل يحض على انتهاز الحاجة عند الإمكان. ولمن يطلب غيره بوتر فيسقط عليه وهو مغتر.

وفيه: أورد محمد بن طلحة بن عبد الله الأعجم كتاب سليمان بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القسري، وهو أمير على مكة: أن لا سلطان لك على بني الأعجم، فلما رآه خالد قال له: (صيدك إن لم تحرمه)، فقال: إن معي كتاب أمير المؤمنين أنه لا سلطان لك علينا، فجلده قبل أن يقرأ الكتاب مائة سوط، فعاد إلى سليمان فشكاه، وكتب سليمان إلى طلحة بن داود الحضرمي بقطع يد خالد، فشفع فيه يزيد بن المهلب، فكتب إلى طلحة، وهو قاضي مكة: إن كان خالد ضرب محمدا بعدما قرأ كتابي فاقطع يده، وإن كان ضربه قبل أن يقرأه فاضربه مائة سطو، وصل بالناس، فشهد له داود بن علي بأنه قبل أن يقرأ الكتاب، فسلمه طلحة إلى محمد، فقطع ظهره، فقال الفرزدق:

لعمري لقد صبت على ظهر خالـد   شآبيب ما استهللن من سبل القطر

ولولا يزيـد بـن المهلـب شمـرت   بكفـك فتخـاء الجنـاح إلـى وكـر

ومن جيد ما قيل في معنى المثل قول الحارث بن جابر العجلي لابنه: يا بني ، إياك والسآمة في طلب الأمور فيقذفك الرجال خلف أعقابها.

ومعنى المثل: أن أمكنك الصيد فلا تغفل عنه) واشتق منه.

١٠٨- صَبْراً عَلى مَجامِرِ الْكِرَامِ.

قال قوم: راود يسار الكواعب مولاته عن نفسها، فنهته، فلم ينته، قالت: إني مبخرتك ببخور، فإن صبرت عليه طاوعتك، ثم أتته بمجمرة، فلما جعلتها تحته قبضت على مذاكيره فقطعتها وقالت: صبرا على مجامر الكرام.

يضرب مثلا لمن يؤمر بالصبر على ما يكره تهكما.

وروي في معنى هذا المثل: بلغنا أن أعربيا قدم الحضر بإبل، فباعها بمال جم وأقام لحوائج له، ففطن قوم من جيرته لما معه من المال، فعرضوا عليه تزويجه جارية وصفوها بالجمال والحسب والكمال طمعا في ماله، فرغب فيها، فزوجوه إياها، ثم إنهم اتخذوا طعاما وجمعوا الحي، وأجلس الأعرابي في صدر المجلس، فلما فرغوا من الطعام، ودارت الكؤوس، وشرب الأعرابي، وطابت نفسه، أتوه بكسوة فاخرة وطيب، فألبس الخلع، ووضعت تحته مجمرة فيها بخور لا عهد له بها، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس عليها سقطت مذاكيره، في المجمرة، فاستحيا أن يكشف ثوبه، وظن أن تلك سنة لا بد منها، فصبر على النار وهو يقول: صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا، واحترقت مذاكيره. وتفرق القوم، وارتحل الأعرابي إلى البادية، وترك امرأته وماله، فلما قص على قومه ما رأى، قالوا: است لم تُعَوَّدَ المجمرة، فذهب قولهم مثلا أيضا، فيمن لم يكن له عهد قديم.

١٠٩- صَارَتِ الْفِتْيَانُ حُمَمًا .

هذا من قول الحمراء بنت ضمرة بن جابر، وذلك أن بني تميم قتلوا سعد بن هند أخا عمرو بن هند الملك، فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة من بني تميم، فجمع أهل مملكته فسار إليهم، فبلغهم الخبر، فتفرقوا في نواحي بلادهم، فأتى ديارهم فلم يجد إلا عجوزا مسنة هي حمراء بنت ضميرة، فلما نظر إليها وإلى حمرتها قال لها: إني لأحسبك أعجمية، فقالت: لا، والذي أسأله أن يخفض جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال: فمن أنت ؟ قالت: أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كابرا عن كابرا، وأنا أخت ضميرة بن ضميرة، قال: فمن زوجك ؟ قالت: هوذة بن جرول، قال: وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت: هذه كلمة أحمق ولو أعلم مكانه حال بينك وبيني، قال: وأي رجل هو ؟ قالت:

أحمق من الأولى، أعن هوذة يسأل ؟ هو والله طيب العرق، سمين العرق، لا ينام ليلة يخاف، ولا يشبع ليلة يضاف، يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد، فقال عمرو: أما لولا أني أخاف أن تلدي مثل أبيك وأخيك وزوجك لاستبقيتك، فقالت: وأنت والله لا تقتل إلا نساء أعاليها ثدي وأسافلها دمي، ووالله ما أدركت ثأرا، ولا محوت عارا، وما من فعلت هذه به بغافل عنك، ومع اليوم غد، فأمر عمرو بإحراقها، فلما نظرت إلى النار قالت: ألا فتى مكان عجوز؟ فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت: هيهات ! صارت الفتيان حمما، فذهبت مثلا، ثم ألقيت فى النار، ولبث عمرو عامة يومه لا يقدر على أحد، حتى إذا كان في آخر النهار، أقبل راكب يسمى عمارا توضع به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو: من أنت ؟ قال: أنا رجل من البراجم، قال: فما جاء بك إلينا؟ قال: سطع الدخان، وكنت قد طويت منذ أيام، فظننته طعاما، فقال عمرو: إن الشقي وافد البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فألقي في النار، فقال بعضهم: ما بلغنا أنه أصاب من بني تميم غيره، وإنما أحرق النساء والصبيان، وفى ذلك يقول جرير:

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم   وأدرك عمارا شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام لما لقي هذا الرجل.

١١٠- صَفْقَةٌ لَمْ يَشْهَدْها حَاطِبٌ .

هو حاطب بن أبي بلتعة، وكان حازما، باع بعض أهله بيعة غبن فيها حين لم يشهدها حاطب، فضرب هذا المثل لكل أمر يبرم دون صاحبه. وقيل ضرب مثلا للأمر يغيب عنه البصير به، فيجري على غير وجهه ويقال إن حاطبا فسخ البيعة لما حضر، أو قيل: لو كان حاطب حاضرا لفسخها.

١١١- أَضَلُّ مِنْ مَوْؤُودَةٍ .

منع بنو تميم من قبائل العرب.. الضريبة عن الملك.. وهى الإتاوة التى كانت عليهم.. فجرد إليهم النعمان أخاه الريان مع كتيبة تسمى دوشر وأكثر رجالها من بكر بن وائل.. فاستاق نعمهم.. وسبى نساءهم.

فلما ذهب بنو تميم إلى النعمان.. وكلموه فى النساء.. حكم النعمان بأن يجعل الخيار فى ذلك إلى النساء.. فأية امرأة اختارت زوجها ردت عليه.. فاختلفن فى الخيار.

وكان فى هؤلاء النساء بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها.. فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له فى التراب.. فوأد بضع عشرة بنتا.. وبصنيع قيس بن عاصم واحيائه هذه السنة التى انتشرت فى الجزيرة العربية.. نزل القرآن الكريم فى ذم وأد البنات.

١١٢- ضِغْثٌ عَلى إِبَّالَةٍ[١]

والمثل يعني بلية على أخرى، ويضرب مثلا للرجل يحمل صاحبه المكروه ثم يزيده منه.

وأول من قاله زياد بن حابس القشيري، كان يوم قتل أخوه مالك بن حابس مات ولدان كانا له في أخوالهما، فأتاه خبرهما فقال: ضغث على إبالة، أراد مصيبة على مصيبة.

وقيل: إنما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي، رأى في منامه كأن عينيه فقئتا، ولما أصبح مات ابنه محمد، وجاءه في ذلك اليوم نعي ابن أخيه محمد فقال: ضغث على إبالة، وقال (أو قيل له):

إن الرزية لا رزيــة مثلهــا   فقدان مثل محمد ومحمد

(١) الإبالة هى الحزمة من الحطب.. والضغث: قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس.

١١٣ - ضَرَطَ ذَلِكَ .

ويروى (ضرط أكثر ذاك). وفي حديثه: تزعم العرب أن الأسد رأى الحمار، فرأى شدة حوافره وعظم أذنيه وعظم أسنانه وبطنه، فهابه وقال: إن هذه الدابة لمنكر، وإنه لخليق أن يبلغني، فلو زرته ونظرت ما عنده، فدنا منه وقال له: يا حمار، أرأيت حوافرك هذه المنكرة لأي شيء هي ؟ قال: للأكم، فقال الأسد: قد أمنت حوافره، ثم قال له: أرأيت أسنانك هذه، لأي شيء هي ؟ قال: للحنظل، قال الأسد: قد أمنت أسنانه، قال أرأيت أذنيك هاتين المنكرتين، لأي شيء هما ؟ قال: للذباب، قال: قد أمنت أذنيه، قال: أرأيت بطنك هذا، لأي شيء هو ؟ قال: ضرط ذلك، فعلم أنه لا غناء عنده، فافترسه.

يضرب لما يهول منظره ولا معنى وراءه.

١١٤ - ضَرَبَنَا بِسَيْفِهِ ثُمَّ جَاءَنا بِالأَكَاذِيب .

قال الشعبي: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بى الأرض، وكرهت ترك عيالى وولدى؛ فلقيت يزيد بن أبى مسلم، وكان لي صديقا، وكانت الصداقة تنفع عنده- فقلت له: قد عرفت الحال بينى وبينك، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال: يا أبا عمرو؛ إن الحجاج لايكذب ولايعوى ولاينبح، ولكن قم بين يديه، وأقر بذنبك، واستشهدنى ما شئت.

فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا ماثل بين يديه، فقال: أعامر ؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير ! قال: ألم أقدم العراق فأحسنت إليك وأدنيتك، وأوفدتك على أمير المؤمنين، واستشرتك ! قلت: بلى أيها الأمير.

قال: فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر،

وأحزن بنا المنزل، وأوحش بنا الجناب، وفقدنا صالح الإخوان، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء؛ وهذا يزيد بن أبى مسلم قد كان يعرف عذرى، وكنت أكتب إليه.

فقال: صدق؛ أصلح الله الأمير! قد كان يكتب إلى بعذره، ويخبرني بحاله. فقال الحجاج: فهذا الأحمق ضربنا بسيفه، ثم جاءنا بالأكاذيب، كان وكان؛ انصرف إلى أهلك راشدا.

١١٥- طَالَ الأَبَدُ عَلى لُبَدٍ.

يعنون به آخر نسور لقمان بن عاد، وكان قد عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو أصله، فيعيش الفرخ خمسمائة سنة أو أقل أو أكثر، وإذا مات أخذ آخر مكانه، حتى هلكت كلها إلا السابع، أخذه فوضعه فى ذلك الموضع وسماه لبدا، وكان أطولها عمرا، فضربت العرب به المثل، فقالوا:

وأنت الذي ألهيت قيلا بكاسه ... ولقمان إذ خيرت لقمان في العمر

لنفسك أن تختار سبعة أنسر ... إذا ما مضى نسر خلوت إلى نسر

فعمر حتى خال أن نسوره ... خلود وهل تبقى النفوس على الدهر

فعاش لقمان- كما زعموا- ثلاثة آلاف سنة، قال النابغة:

أخنى عليها الذي أخنى على لبد

١١٦- طَلَبَ الْعَبْدُ ذِراعاً لَمَّا أُعْطِيَ كُرَاعاً .

الكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب.

أول من قال ذلك أم عمرو جارية كانت لمالك وعقيل ندماني جذيمة الأبرش، وذلك أنهما كان يشربان والجارية تسقيهما، فمر بهم عمرو بن عدي اللخمي ابن أخت جذيمة، فجلس إليهم وهم يشربون، فناولاه شيئا من الطعام، فطلب أكثر منه، فقالت أم عمرو: طلب العبد ذراعا لما أعطى كراعا، ثم صار إلى الشراب، فجعلت أم عمرو تسقيهما وتدع عمرا، فقال عمرو متمثلا:

صددت الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا

فصار كلامها مثلا يعطى شيئا أكثر منه، وكان ذلك قبل أن يتعرف إليهم، فلما انتسب إليهم عمرو فرح به مالك وعقيل نديما خاله وأدخلاه.

١١٧- الطَّمَعُ الكاذِبُ يَدُقُّ الرَّقَبَةَ .

قاله خالد بن صفوان حين أكل معه الأعرابي، وذلك أنه كان قد بنى دكانا مرتفعا لا يسع غيره ولا يصل إليه الراجل، فكان إذا تغدى قعد عليه وحيدا يأكل لبخله. فجاء أعرابي على جمل ساوى الدكان، ومد يده إلى طعامه، فبينما هو يأكل إذ هبت ريح وحركت شنا هناك، فنفر البعير، وألقى الأعرابي فاندقت عنقه، فقال خالد: الطمع الكاذب يدق الرقبة، فذهبت مثلا.

١١٨- طَمَحَ مَرْقَمَةُ .

ذكره الميداني بلفظ (طمح مرثمه) قال: أي علا مكانا لم يكن ينبغي له أن يعلوه، والمرثم: الأنف، من الرثم وهو الكسر، وطمح: علا وارتفع.

وقال الأصمعي: مرقمة رجل، وطمح معناه أفرط في الأمر وجاوز فيه الحد، ويقال أيضا (طاح مرقمة) ويجعل مثلا في الرجل يهلك وينقطع سببه، وأصله أن بني هلال وبني فزارة تنافروا إلى أسد بن مدرك الخثعمي، فقال بنو عامر: أكلتم يا بني فزارة (عضو) الحمار، قالوا: أكلناه ولم نعرفه. وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا، فزاري وتغلبي وكلابي، فصادوا حمارا، فمضى الفرازي في حاجة، فطبخا وأكلا، وحبا للفزاري جردان الحمار، فلما رجع قالا: قد خبأنا لك، فأقبل يأكل ولا يكاد يسيغ، وجعلا يضحكان،، ففطن، فقال: اكل شواء العير جوفان ؟ وجوفان الحمار جردانه، ثم أخذ السيف وقام إليهما فقال: لتأكلانه أو لأقتلنكما، فقال لأحدهما، وكان اسمه مرقمة: كل، فأبى فضربه فأبان رأسه، فقال الآخر: طاح مرقمة). فقال الفزاري: (وأنت إن لم تلقمه) أراد (تلقمها) فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم، كما قيل: ويلم الحيرة، وأي رجال به، أي بها. فعيرت فزارة بأكل الجرذان، فقال الكميت بن ثعلبة، وهم ثلاثة هذا أقدمهم، ثم كميت بن معروف، ثم كميت بن زيد، كلهم من بني أسد:

نشدتك يا فزار وأنت شيخ	إذا خيرت تخطئ في الخيار
أصيحانية أدمت بسمن	أحب إليك أم (عضو) الحمار
بلى عضو الحمار وأنثياه	أحب إلى فزارة من فرار

والفرار من اولاد الضأن، فقال بنو فزارة: لكن منكم يا بني هلال من قرى في حوضه فسقى إبله، فلما رويت سلح فيه، ومدره بخلا بفضلة مائه، فقال فيكم الشاعر:

لقد جللت خزيا هلال بن عامر   بني عامر طرا بسلحة مادر
فأف لكم لا تذكروا الفخر بعدها   بني عامر أنتم شرار المعاشر

فقضى أسد بن مدرك على الهلاليين.

١١٩- عِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ.

وكان من حديث هذا المثل أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب خرج ومعه رجل من جهينة يقال له الأخنس بن كعب، وكان الأخنس قد أحدث في قومه حدثا فخرج هاربا، فلقيه الحصين فقال له: من أنت ثكلتك أمك؟ فقال له الأخنس: بل من أنت ثكلتك أمك؟ فردد هذا القول، حتى قال الأخنس: أنا الأخنس بن كعب، فاخبرني من أنت وإلا أنفذت قلبك بهذا السنان، فقال له الحصين: أنا الحصين بن عمرو الكلابي، ويقال: بل هو الحصين بن سبيع الغطفاني، فقال له الأخنس: ما الذي تريد؟ قال: خرجت لما يخرج له الفتيان، قال الأخنس: وأنا خرجت لمثل ذلك، فقال له الحصين: هل لك أن نتعاقد أن لا نلقى أحدا من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه؟ قال: نعم، فتعاقدا على ذلك، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه، فلقيا رجلا فسلباه، فقال لهما: هل لكما أن تردا على بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم؟ قالا: نعم، فقال: هذا رجل من لخم قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير، وهو خلفي في موضع كذا وكذا، فردا عليه بعض ماله وطلبا اللخمي، فوجداه نازلا في ظل شجرة وقدامه طعام وشراب، فحيياه وحياهما، وعرض عليهما الطعام، فكره كل واحد أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به، فنزلا معا فأكلا وشربا مع اللخمي، ثم إن الأخنس ذهب لبعض شأنه، فرجع واللخمي يتشحط في دمه، فقال الجهني- وهو الأخنس- وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولا: ويحك، فتكت برجل قد

تحرمنا بطعامه وشرابه! فقال: اقعد يا أخا جهينة، فلهذا وشبهه خرجنا، فشربا ساعة وتحدثا، ثم إن الحصين قال: يا أخا جهينة، أتدري ما صعلة وما صعل؟ قال الأخنس: هذا يوم شرب وأكل، فسكت الحصين، حتى إذا ظن أن الجهني قد نسي ما يراد به، قال: يا أخا جهينة، هل أنت للطير زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العقاب الكاسر، قال الجهني: وأين تراها؟ قال: هي ذه، وتطاول ورفع رأسه إلى السماء، فوضع الجهني بادرة سيفه في نحره، فقال: أنا الزاجر والناحر، واحتوى على متاعه ومتاع اللخمي، وانصرف راجعا إلى قومه، فمر ببطنين من قيس يقال لهما مراح وأنمار، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلته، فقالت: كذبت ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا، فانصرف إلى قومه فأصلح أمرهم.

١٢٠- عِشْ وَلاَ تَغْتَرّ.

يروى أن رجلا أتى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير فقال:

- كما لا ينفع مع الشرك عمل.. كذلك لا يضر مع الايمان ذنب.. فقالوا جميعا له:

- عش ولا تغتر.. ثم قالوا له:

- لا تفرط فى أعمال الخير.. وخذ فى ذلك بأوثق الأمور.. فإن كان الشأن على ما ترجو من الرخصة والسعة هناك.. كان ما كسبته زيادة فى الخير.. وإن كان على ما تخاف كنت قد احتطت لنفسك.

١٢١- عَسَى بَعْدَ النَّأْيِ يُسْعِفُ الْهَوَى.

قال الأصمعي: نزلت ليلة فى وادى بنى العنبر، وهو إذ ذاك غان باهله، فإذا فتية يريدون البصرة، فأحببت صحبتهم، وأنمت ليلتى تلك، وإني لوصب محموم، أخاف ألا أستمسك على راحلتى، فلما أقاموا ليرحلوا أيقظونى، فلما رأوا حالى حملونى، وركب أحدهم ورائى يمسكنى، فلما أمعنوا السير تنادوا: ألا فتى يحدو بنا أو ينشدنا؟ فإذا منشد فى سواد الليل ينشد بصوت ند حزين:

لعمرك إنى يوم بانوا فلم أمت ... خفاتا على آثارهم لصبور

غداة المنقى إذ رميت بنظرة ... ونحن على متن الطريق نسير

فقلت لقلبى حين خف به الهوى ... وكاد من الوجد المبر يطير:

فهذا ولما تمض للبين ليلة ... فكيف إذا مرت عليه شهور!

وأصبح أعلام الأحبة دونها ... من الأرض غول نازح ومسير

وأصبحت نجدى الهوى متهم الثـ ... ـوىأزيد اشتياقا أن يحن بعير

عسى الله بعد النأى أن يسعف النوى ... ويجمع شمل بعدها وسرور

قال: فسكنت والله عنى الحمى ما أحس بها؛ وقلت لرفيقى: انزل يرحمك الله إلى راحلتك فإنى متماسك، وجزاك الله عن الصحبة خيرا!

١٢٢- عَلَى أَهْلِهَا دَلَّتْ بَرَاقِشُ.

يضرب فى جلب الشؤم والحين، ولمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه.

وبراقش اسم كلبة نبحت على جيش مروا ولم يشعروا بالحي الذي فيهم الكلبة، فلما سمعوا نباحها علموا أن أهلها هناك، فعطفوا عليهم فاستباحوهم، فذهبت مثلا.

وقيل إن براقش حصن باليمن معروف، وهو الذي يقول فيه النابغة الجعدي:

تستن بالضرو من براقش أو (م) هيلان أو ناضـــر من العتم

وكان لأهل براقش بئر خارج الحصن لا منهل لهم سواها، وكان من داخل الحصن إليها نفق، فحصرهم عدو وحل على الماء دونهم، وطال حصاره لهم وهو لا يدري من أين يشربون، وهم يختلسون شربهم ليلا واستراقا حتى نزلت كلبة لأهل الحصن في البستج لتشرب، فرآها بعض من يستقي من العدو، فأنزل صاحب الجيش الرجال فدخلوا الحصن من النفق وأهله غارون، فقتلوهم وافتتحوا الحصن، وسمي الحصن براقش باسم الكلبة.

١٢٣- عُوَيِّرٌ وَكُسَيْرٌ وَكُلُّ غَيْرِ خَيْرٌ.

أول من قال ذلك أمامة بنت نشبة بن مرة، وكان تزوجها رجل من غطفان يقال له خالد بن رواحة، وكان أعور، فمكثت عنده زمانا وولدت له خمسة، ثم نشزت عليه فطلقها، وخطبها رجل من بني سليم- وقيل من بني شيبان- يقال له خالد بن مرة إلى أبيها، وأحسن العطية، وكان أعرج مكسور الفخذ، فلما دخلت عليه قالت: (عوير وكسير، وكل غير خير).

يضرب مثلا في الخلة غير المحمودة.

١٢٤- الْعَوْدُ أَحْمَدُ.

وأول من قال ذلك خداش بن حابس التميمي، وكان خطب فتاة من بني ذهل ثم من بني سدوس يقال لها الرباب، وهام بها زمانا، ثم أقبل يخطبها، وكان أبواها

يتمنعان لجمالها وميسمها، فردا خداشا، فأضرب عنها زمانا، ثم أقبل ذات ليلة راكبا، فانتهى إلى محلتهم وهو يتغنى ويقول:

ألا ليت شعري يا رباب متى أرى   لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفي

فعرفت الرباب منطقه، وجعلت تتسمع إليه وحفظت الشعر، وارسلت إلى الركب الذين فيهم خداش أن انزلوا بنا الليلة، فنزلوا، وبعثت إلى خداش أن قد عرفت حاجتك فاغد على أبي خاطبا، ورجعت إلى أمها، فقالت: يا أمه، هل أنكح إلا من أهوى وألتحف إلا من أرضى؟ قالت: لا، فما ذاك؟ قالت: فأنكحيني خداشا، قالت: وما يدعوك إلى ذلك مع قلة ماله؟ قالت: إذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال، فأخبرت الأم أباها بذلك، فقال: ألم نكن صرفناه عنا، فما بدا له؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خداش فسلم وقال: العود أحمد، المرء يرشد، والورد يحمد، فأرسلها مثلا.

ويقال: أول من قال ذلك وأخذه الناس منه مالك بن نويرة، حين قال:

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم   وعدنا بمثل البدء والعود أحمد

فقال الناس: العود أحمد.

١٢٥ - عَبِيدُ الْعَصا .

أول من قيل لهم ذلك بنو أسد، وكان سبب ذلك أن ابنا لمعاوية بن عمرو حج ففقد، فاتهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة، فأخبر بذلك الحارث، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج وبنو أسد بها، فطلبهم فهربوا منه، فأمر مناديا ينادي: من آوى أسديا فدمه جبار، فقال بنو أسد: إنما قتل صاحبهم حبال بن نصر وغاضرة منهم السكون، فانطلقوا بنا حتى نخبره، فإن قتل الرجل فهو

منهم، وإن عفا فهو أعلم، فخرجوا بحبال إليه، فقالوا: قد أتيناك بطلبتك، فأخبره حبال بمقالتهم، فعفا عنه وأمر بقتلهم، فقالت له امرأة من كندة من بني وخب بن الحارث يقال لها عصية وأخوالها بنو أسد: أبيت اللعن: هبهم الملك، فأعطى كل واحد منهم عصا، وبنو أسد يومئذ قليل، فأقبلوا إلى تهامة مع كل رجل منهم عصا، فأخرجتهم بنو كنانة من مكة، وسموا (عبيد العصا) بعصية التى أعتقتهم وبالعصي التي أخذوها.

١٢٦- أَعْطَشُ مِنْ ثُعَالَةَ .

ثعالة رجل من بني مجاشع.. خرج هو ونجيح بن عبد الله بن مجاشع فى غزوة صيد.. فتاها فى الصحراء.. ولم يجدا ماء.. واشتد بهما العطش.. فاضطرا إلى أن يلقم كل واحد منهما فيشلة الآخر[١].. كى يشرب بوله.

الأمر الذى تضاعف معه العطش عليهما من ملوحة البول.. فماتا عطشانين.. فضربت العرب بثعالة المثل.. وأنشد جرير فى ذلك:

مــا كان ينكر فى غزي مجاشــع   أكل الخزيــر ولا ارتضاع الفيشل

١٢٧- عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَباً .

روى أبو عبيد البكري أن أهل الجاهلية كانوا يرفعون مظالمهم إلى رجب، ثم يأتون فيه الكعبة فيدعون الله عز وجل فلا تتأخر عقوبة الظالم، فكان المظلوم يقول للظالم (عش رجبا تر عجبا) فسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ذلك، وقيل

(١) الفيشلة: هى رأس قضيب الرجل.

نحن اليوم مع الإسلام ندعو على الظالم فلا نجاب في أكثر الأمر، فقال: إن الله عز وجل لم يعجل العقوبة لكفار هذه الأمة ولا لفساقها، فإنه تعالى يقول: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (سورة القمر آية:٤٦).

ويروى المثل بلفظ (عش رحبا) بالحاء المهملة أي وقتا واسعا.

وقيل إن أول من قال ذلك الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وكان طلق بعض نسائه بعدما أسن وقد فركته (كرهته وأبغضته) فخلف عليها من بعده رجل، فكانت تظهر له من الوجد به ما لم تكن تظهره للحارث، فلقي زوجها الحارث وأخبره بذلك، فقال الحارث: عش رجبا تر عجبا، فذهب قوله مثلا، ومعناه: عش رجبا بعد رجب، أي اصبر حتى تكبر سنك ثم تفعل بك كما فعلت بي.

يضرب مثلا في تحول الدهر وتقلبه وإيتان كل يوم بما يتعجب منه.

١٢٨- عَلى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ.

يقال إن المثل لمالك بن جبير العامري، وكان من حكماء العرب، وتمثل به الفرزدق للحسين بن علي رضي الله عنهما حين أقبل يريد العراق، فلقيه وهو يريد الحجاز، فقال له الحسين بن علي: ما وراءك؟ قال: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والامر ينزل من السماء، فقال الحسين رضي الله عنه: صدقتني يا أبا فراس.

وهذا مثل قولهم: (على الحازي هبطت) والحازي الذي ينظر في خيلان الوجه وفي الأعضاء ويتكهن.

معنى المثل: إنك سألت عن الأمر الخبير به، والخبير: العالم، والخبر: العلم، والخبرة: التجربة، لأن العلم يقع معها، وفي القرآن الكريم: (ولا ينبئك مثل خبير)

(سورة فاطر آية:١٤) وقوله تعالى: (فسئل به خبيرا) (سورة الفرقان آية:٥٩) والسقوط هاهنا بمعنى المصادفة، ومثله قوله: (سقط العشاء به على سرحان) أي صادف به السرحان.

١٢٩- غَنِمَ مَنْ نَجَا مِنَ الْمَوْتِ .

كان عامر بن الظرب العدوانى يدفع بالناس فى الحج؛ فرآه ملك من ملوك غسان، فقال: لا أترك هذا العدوانى أو أذله.

فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه: أحب أن تزورني فأحبوك وأكرمك وأتخذك خلا ، فأتاه قومه، فقالوا له: تفد ويفد معك قومك إليه، فيصيبون فى جنبك، ويوجهون بجاهك !

فخرج وأخرج معه نفرا من قومه؛ فلما قدم بلاد الملك أكرمه وأكرم قومه، ثم انكشف له عن رأى الملك؛ فجمع أصحابه، وقال: الرأى نائم، والهوى يقظان، ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأى. عجلت حين عجلتم، ولن أعود بعدها.

فقال قومه: لقد أكرمنا الملك كما ترى ! وبعد هذا ما هو خير منه !

قال: لا تعجلوا؛ فإن لكل عام طعاما، ورب أكلة تمنع أكلات؛ فمكثوا أياما.

ثم أرسل إليه الملك، فتحدث عنده، ثم قال له: قد رأيت أن أجعلك الناظر فى أموري، فقال له: إن لى كنز علم لست أعلم إلا به، تركته فى الحى مدفونا ، وإن قومى أضناء بى، فاكتب لى بجباية الطريق، فيرى قومى طمعا تطيب به أنفسهم فأستخرج كنزى، وأرجع إليك وافرا.

فكتب له بما سأل، وجاء إلى أصحابه، فقال: ارتحلوا؛ حتى إذا أدبروا قالوا: لم ير كاليوم وافد أقل ولا أبعد من نوال منك، فقال: مهلا ، فليس على الرزق فوت، وغنم من نجا من الموت فلما قدم على قومه أقام فلم يعد..

١٣٠- غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتٌ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ .

ويروى بلفظ: (أغدة وموتا) نصبا على المصدر.

المثل لعامر بن الطفيل وكان أضمر هو وأربد بن قيس الشر للنبي ﷺ عندما خرجا من عنده، فدعا عليهما النبي ﷺ فأما أربد فضربته صاعقة فأحرقته، وأما عامر فقد أرسل الله ملكا فلطمه بجناحه وهو على فرسه يريد الأوس والخزرج، فأوقعه وخرجت على ركبته غدة عظيمة، وكان قد نزل فى بيت عجوز سلولية، فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية، وسلول عند العرب أقلهم وأذلهم، ومات من يومه.

يضرب مثلا في خصلتين إحداهما شر من الأخرى.

١٣١- أَغْدَرُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ .

زعم أبو عبيده أنه كان من أغدر العرب.. وذكر أنه جاوره رجل تاجر.. فربطه وأخذ متاعه وشرب خمره وسكر حتى الثمالة ويقول:

وتاجر فاجر جاء الاله به   كأن لحيتـه أذناب أجمال

ومن حديثه فى الغدر أيضا أنه جبى صدقة بنى منقر للنبى ﷺ.. فلما بلغه موت النبى ﷺ قسمها فى قومه وقال:

ألا أبلغا عنى قريشـا رسـالة   إذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت[1] بما جمعته آل منقر   وآيست منها كل أطلس طامع

---

(١) حبوت: أعطيت ومنحت

١٣٢ - غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ.

كانت بين مذحج وحى من أحياء العرب حرب شديدة، فمر معن بن عطية المذحجى فى حملة حملها برجل من أعدائهم صريعا: فاستغاثه وقال: أمنن على كفيت البلاء، فأقامه معن، وسار به حتى بلغ مأمنه، ثم عطف أولئك القوم على مذحج فهزموهم وأسروا معنا وأخا يقال له: روق، وكان يضعف ويحمق.

فلما انصرفوا إذا صاحب معن الذى نجاه أخو رئيس القوم، فناداه معن وقال:

يا خير جاز بيد أوليتها نج منجيكا

هل من جزاء عندك اليوم لمن رد عواديكا

فعرفه صاحبه، فقال لأخيه: هذا المان على، ومنقذى بعد ما أشرفت على الموت فهبه لى، فوهبه له، فخلى سبيله، وقال: إنى أحب أن أضاعف لك الجزاء، فاختر أسيرا آخر، فاختار معن أخاه روقا، ولم يلتفت إلى سيد مذحج وهو فى الأسارى.

ثم انطلق معن وأخوه راجعين، فمرا بأسارى قومهما، فسألوا معنا عن حال سيدهم، فأخبرهم الخبر، فقالوا لمعن: قبحك الله تدع سيد قومك وشاعرهم لاتفكه وتفك أخاك هذا الأنوك، الفسل الرذل، فوالله مانكأ جرحا ولا أعمل رمحا، ولا ذعر سرحا وإنه لقبيح المنظر سيء المخبر؛ لئيم: قال معن: (غثك خير من سمن غيرك).

١٣٣ - فِي دُونِ هَذا ما تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صاحِبها.

قال ذلك الحكم بن صخر الثقفي قال: خرجت منفردا، فرأيت بإمرة- وهي موضع- جاريتين أختين لم أر كجمالهما وظرفهما، فكسوتهما وأحسنت إليهما. ثم حججت بعد عام ومعي أهلي، وقد اعتللت وزال خضابي، فلما صرت بإمرة إذا إحداهما قد جاءت فسألت سؤال منكرة، فقلت: فلانة؟ قالت: فدى لك أبي وأمي،

ومن أين تعرفني وأنكرك؟ قلت: أنا الحكم بن صخر، قالت: فدى لك أبي وأمي، رأيتك في العام الماضي شابا سوقة، وأراك العام شيخا هلكا، وفي دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها، فذهبت مثلا.

١٣٤ - أَفْتَكُ مِنْ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ .

الفتك هنا يقصد به كثرة الميل والعنف.. والأحاديث كثيرة عن أخبار فتك عمرو بن كلثوم.. فيقال أنه فتك بعمرو بن عبد الملك[1].. ملك الحيرة فى دار ملكه بين الحيرة والفرات.. وهتك سرادقه.. وانتهب رحله.. وانصرف إلى باديته بالشام بما معه.. موفورا واثقا.. لم يكلم أحدا من أصحابه.. فسار بفتكه المثل.

١٣٥ - فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ .

التقط الأرنب تمرة.. فاختلسها الثعلب وأكلها.. ثم انطلقا يختصمان إلى الضب.. فقال الأرنب:

- يا أبا الحسل.. أتيناك لنختصم إليك.
- قال: عادلا حكمتما.
- قال الأرنب: فاخرج إلينا..
- قال الضب: فى بيته يؤتى الحكم.
- قال الأرنب: إنى وجدت تمرة.
- قال الضب: حلوة فكلها.
- قال الأرنب: الثعلب اختلسها وأكلها.
- قال الضب: لنفسه بغى الخير.

---

(١) عمرو بن عبد الملك: هو عمرو بن هند.. كان ملك الحيرة فى العصر الجاهلى.. ونسب إلى أمه هند.. وعمه الشاعر امرؤ القيس.

- قال الأرنب: فلطمته على وجهه.
- قال الضب: بحقك أخذت.
- قال الأرنب: لكنه لطمنى.
- قال الضب: حر انتصر.
- قال الأرنب: فاقض بيننا.
- قال الضب: قد قضيت.

فذهبت أقواله كلها أمثالا من أمثال العرب.

١٣٦- الْفَقْرُ خَصْمٌ لَجُوجٌ.

ركب خالد فى يوم شديد البرد كثير الغيم، فتعرض له رجل فى الطريق، فقال له: ناشدتك الله إلا ضربت عنقى! فقال له: أكفر بعد إيمان؟ قال: لا، قال: أفترغب عن طاعة الرحمن؟ قال: لا، قال: أفقتلت نفسا؟ قال: لا. قال: فما سبب ذلك؟ قال: لى خصم لجوج قد علق بى، ولزمنى وقهرنى. قال: من هو؟ قال: الفقر! قال: فكم يكفيك لدفعه؟ قال: أربعة آلاف درهم، قال: إني ممدك بأربعة آلاف درهم.

ثم قال خالد: يا غلام، ادفع له أربعة آلاف درهم، والتفت وقال: هل ربح أحد من التجار كربحى اليوم؟ قالوا: وكيف ذلك؟ قال: عزمت على أن أعطى هذا الرجل ثلاثين ألف درهم، فلما طلب أربعة آلاف درهم وفر على ستة وعشرين ألف درهم.

فلما سمع الرجل ذلك منه قال: حاشاك وأعيذك بالله أن تربح على مؤملك. فقال: يا غلام؛ أعطه ثلاثين ألفا، ثم قال للرجل: اقبض المال، واذهب آمنا إلى خصمك، ومتى رجع يعارضك فاستنجد بنا عليه.

١٣٧ - قَسَمَ فَأَحْسَنَ القِسْمَةَ .

حدث أعرابى كان ينزل بالبصرة قال: قدم أعرابى من البادية، فانزلته، وكان عندى دجاج كثير، ولى امرأة وابنان وابنتان منها، فقلت لامرأتى: بادرى واشوى لنا دجاجة، وقدمها إلينا نتغدى.

فلما حضر الغداء جلسنا جميعا أنا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابى فدفعنا، إليه الدجاجة وقلنا له: اقسمها بيننا- نريد أن نضحك منه- فقال: لاأحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتى قسمتها، قلنا: فإننا نرضى، فأخذ رأس الدجاجة فقطعها فناولنيه، قال: الرأس للرأس- وقطع الجناحين- وقال: الجناحان للابنين- ثم قطع الساقان- فقال: الساقين للابنتين- ثم قطع الزمكى وقال: العجز للعجوز، وقال: الزور للزائر، وأخذ الدجاجة بأسرها وسخر بنا.

فلما كان من الغد قلت لامرأتى: اشوى لنا خمس دجاجات، فلما حضر الغداء قلت: أقسم بيننا. قال: إنى أظن أنكم وجدتم فى أنفسكم، قلنا: لا، لم نجد فى أنفسنا، فاقسم! قال: أقسم شفعا أو وترا؟ قلنا: اقسم وترا، قال: أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة، ورمى إلينا بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة، ثم قال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة، ثم قال: أنا ودجاجتان ثلاثة، وأخذ دجاجتين، وسخر بنا.

ثم رآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه؛ فقال: ما تنظرون؟ لعلكم كرهتم قسمة الوتر، لا يجيء إلا هكذا، فهل لكم فى قسمة للشفع؟ قلنا: نعم، فضمهن إليه ثم قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة، ورمى إلينا بدجاجة، ثم قال: والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهن بدجاج، ثم قال: أنا وثلاث دجاجات أربعة، وضم إليه الثلاث، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم لك الحمد أنت فهمتنيها!

١٣٨ - قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْراً وَمَا شَبِعُوا .

سعي بأبي الحسن على بن محمد العلوى إلى المتوكل، وقيل له: إن فى منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته، فوجه إليه ليلا من هجم عليه فى منزله على غفلة ممن فى داره، فوجد فى بيت وحده، مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط فى البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، متوجها إلى ربه يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد.

فأخذ على ما وجد عليه، وحمل فى جوف الليل؛ فمثل بين يديه والمتوكل يشرب، وفى يده كأس؛ فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها؛ فناوله المتوكل الكأس التى فى يده، فقال: يا أمير المؤمنين؛ ما خامر لحمى ودمى قط ! فأعفنى منه، فأعفاه، وقال: أنشدنى شعرا أستحسنه، فقال: إنى لقليل الرواية للأشعار؛ فقال: لابد أن تنشدني فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم	غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم	فأودعوا حفرا، يابئس ما نزلوا !
ناداهم صارخ من بعدما قبروا:	أين الأسرة والتيجان والحلل !
أين الوجوه التى كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم:	تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شبعوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما كنزوا الأموال وادخروا	فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفرا معطلة	وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

فأشفق من حضر على على، وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه، ولكن المتوكل بكى بكاء طويلا، حتى بلت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم أمر برفع الشراب، وقال: يا أبا الحسن، أعليك دين ؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها إليه، ورده إلى منزله من ساعته مكرما.

١٣٩- قُرْبُ الْوِسادِ وَطُولُ السَّوَادِ .

يضرب مثلا للأمر يلقي صاحبه في المكروه.

والمثل لابنة الخس، وذكر أنها زنت مع عبد لها، فقيل: ما حملك على الزنى مع عقلك ورأيك ؟ قالت: (قرب الوساد وطول السواد) أي قرب مضجع الرجل مني، وطول مسارته لي.

والسواد: المسارة، وساوده إذا ساره، وأصله من السواد وهو الشخص، وذلك أن المسار يدني شخصه من شخص من يساره، فيقال ساوده، أي أدنى سواده من سواده.

١٤٠- قَطَعَتْ جَهِيزَةُ قَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ .

أصله أن قوما اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيين قتل أحدهما من الآخر قتيلا، ويسألون أن يرضوا بالدية، فبينما هم في ذلك إذ جاءت أمة يقال لها (جهيزة) فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله، فقالوا عند ذلك: (قطعت جهيزة قول كل خطيب)، أي قد استغنوا عن الخطب.

يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بحماقة يأتي بها.

١٤١- قَدْ لَا يُقَادُ بِيَ الْجَمَلُ .

يضرب مثلا للرجل يسن ويضعف فيتهاون به أهله.

والمثل لسعد بن زيد مناة بن تميم، وذلك أنه كبر وضعف، ولم يطق الركوب إلا أن يقاد به، فقال يوما وابنه يقود الجمل به ويقصر: قد لا يقاد بي الجمل. معناه: قد

صرت لا يقاد بي الجمل. ونحوه قول البرجمي:

أليس ورائي أن أدب على العصا　　فيشمت أعدائي ويسأمني أهلي

وقال القطري:

وما للمرء خير في حياة　　إذا ما عد من سقط المتاع

١٤٢ - قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إنْ حَقّاً وَإنْ كَذِباً .

المثل للنعمان بن المنذر، من شعر للبيد بن ربيعة، قاله لربيع بن زياد، وكان هذا الأخير طعن فى قوم لبيد، فهجاه لبيد بأبيات علم منها النعمان أن ربيعا مصاب بالبرص، فطرده، فعاتبه الربيع عندما انصرف إلى أهله بأبيات، فأجابه النعمان:

شرد برحلك عني حيث شئت ولا　　تكثر علي ودع عنك الأباطيلا
قد قيل ما قيل إن حقا وإن كذبا　　فما اعتذارك من شيء إذا قيلا

١٤٣ - اَلْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامِ .

حذام امرأة رجل يسمى لجيم بن صعب وكانت صادقة النظر شديدة الذكاء، ترى الرأى فلا تخطىء؛ وتظن فيأتى الأمر كما توقعت، فكان زوجها يثق فى صدق نظرها وقوة ادراكها ويقول فيها:

إذا قالت حذام فصدقوها　　فإن القول ما قالت حذام

وهكذا يثق الناس فى البصير المجرب، فإذا اختلف الناس فيما يأتون من الأمر أو يدعون لجأوا إلى الخبير يسألونه مطمئنين إلى صدق رأيه وحسن توجيهه، كما كان لجيم يصنع إذا قالت امرأته حذام رأيها فى أمر.

وإذا اختلف الناس فى مرض فقال الطبيب رأيه فهو فى هذا الأمر حذام. وإذا اختلف الناس فى توجيه الأحداث فقال السياسى رأيه فهو الحجة فى ذلك الامر وهو فيه حذام. وإذا أشكل أمر فى شئون التربية والتعليم فقال المربى رأيه فرأيه القاطع فى هذا الشأن، لأنه الخبير به المدرك له وكان فيه كما كانت حذام.

والمراد من المثل: أنه يدل على صاحب القول السديد والرأى الرشيد.

١٤٤- كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيها مُعْجَبَةٌ .

خرجت العجفاء بنت علقمة السعدى ذات ليلة مع ثلاث نسوة من قومها إلى روضة من الرياض فوافين بها ليلا فى قمر زاهر وروضة معشبة، فلما جلسن قلن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا مثل هذه الروضة روضة. ثم أفضن فى الحديث فقلن: أى النساء أفضل؟

قالت احداهن: الخرود الودود الولود.

وقالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء وطيب الثناء وشدة الحياء.

وقالت الثالثة: خيرهن السموع الجموع النفوع.

وقالت الرابعة: خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة الرافعة لا الواضعة.

ثم قلن: فأى الرجال أفضل ؟

قالت أحداهن: خيرهم الحظى الرضى غير الخطال ولا التنبال.

وقالت الثانية: خيرهم السيد الكريم ذو الحسب العميم والمجد القديم.

وقالت الثالثة: خيرهم السخى الوفى الرضى، الذى لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرة.

فقالت الرابعة: وأبيكن ان فى أبى كل ما قلتن: كرم الاخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق ويحمده الرفاق.

فقالت العجفاء عند ذلك: (كل فتاة بأبيها معجبة) أى أنها ترى فيه خيرا من غيره وان لم يكن.

وهكذا يزهى المرء بعمله ويفضله على غيره وان كان دونه، انتصارا له.

ويفرح المرء بأبنائه ويرى فيهم أذكى البنين وانضر الناس وان لم يكونوا.

ويمدح عشيرته ويفخر بهم ويفضلهم على من سواهم من العشائر.

ولا يرضى الا برأيه وينبذ رأى غيره وان كان ذا قيمة، تعصبا لنفسه، وحينذاك يقال: (كل فتاة بأبيها معجبة).

أى كل امرىء يفضل ما عنده على ما عند الناس.

١٤٥- كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا .

خرج ثلاثة نفر للصيد فصاد أحدهم أرنبا وصاد الآخر ظبيا، وصاد الثالث حمارا وحشيا، ففرح صاحب الظبى وصاحب الأرنب بما صادا، وأخذا يفخران على صاحبهما ويسخران منه فقال: (كل الصيد فى جوف الفرا).

أى أن هذا الذى نلته قدره أكبر من قدر ما نلتما، وما نلتما صغير بالنسبة إليه، فهو لصغره يدخل فى جوفه.

ويمثل بذلك كل أمر يغنى كبيره عن صغيره.

فإذا كان لامرىء حاجة كبيرة بجانب حاجات صغيرة، فقضيت تلك الكبيرة، فإنها تغنيه عن غيرها.

وعندما فتح النبى ﷺ مكة أذن لأهلها فى الدخول عليه، واستأذن أبو سفيان

فحجبه قليلا ثم أذن له، فلما دخل عاتب الرسول قائلا: (ما أذنت لى حتى كدت تأذن لجانبى الوادى) فقال الرسول ﷺ: (أنت يا أبا سفيان كما قيل: كل الصيد فى جوف الفرا).

١٤٦- كَبُرَ عَمْرُو عَنِ الطَّوْقِ.

كان للملك جذيمة الأبرش ابن أخت صغير اسمه عمرو، وكان جذيمة يحبه ويقربه.

ولما بلغ عمرو ثمانى سنوات جعل يخرج فى عدة من الخدم يجتنون بعض النبات يسمى الكمأة.

وذات يوم خرج عمرو ولم يعد، فأخذ جذيمة يبحث عنه فلم يجده، وأخذ عمرو يضرب فى الأرض لا يعرف له أثر حتى انقضت مدة من الزمن.

وبينما كان رجلان يسيران فى بعض الأودية فى طريقهما إلى جذيمة بالهدايا والتحف، وجدا فتى قد طال شعره وأظافره، يعيش فى ذلك المكان وحده، فحملاه معهما إلى جذيمة،فلما دخل عليه عرف أنه عمرو، وبعث به إلى أمه فأدخلته الحمام وألبسته ثيابه الفاخرة، كما ألبسته طوقه الذهبى الذى كان يلبسه وهو صغير وأدخلته على جذيمة.

ورأى جذيمة أمامه فتى قويا ناضرا فسر بمرآه، ولكنه وجده مطوقا بذلك الطوق الذى كان يلبسه فى صغره، فابتسم قائلا: (كبر عمرو عن الطوق).

١٤٧- كَيْفَ أُعَاوِدُكَ وَهَذَا أَثَرُ فَأْسِكَ؟

حكى أن اخوين كانا فى إبل لهما، فأجدبت بلادهما، وكان بالقرب منهما واد خصيب، وفيه حية تحميه من كل أحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان؛ لو أنى أتيت

هذا الوادى المكلى فرعيت فيه إبلي وأصلحتها، فقال له أخوه: إنى اخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدا لا يهبط ذلك الوادى إلا أهلكته ؟ قال: فوالله لأفعلن ! فهبط الوادى ورعى به إبله زمانا.

ثم إن الحية نهشته فقتلته، فقال أخوه: والله ما في الحياة بعد أخى خير، فلأطلبن الحية ولأقتلنها أو لأتبعن أخى، فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها؛ فقالت الحية: ألست ترى أنى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فادعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم دينارا ما بقيت ؟ قال: أو فاعلة أنت ؟ قالت: نعم. قال: إنى أفعل، وحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالا، ثم إنه ذكر أخاه، فقال: كيف العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخى ؟ ثم عمد إلى فأس فأخذها؛ ثم قعد لها، فمرت به فتبعها، فضربها فأخطأها، ودخلت الحجر، ووقعت الفأس فوق حجرها فأثرت فيه، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار؛ فخاف الرجل شرها وندم؛ فقال لها: هل لك أن نتواثق ونعود إلى ما كنا عليه ؟ فقالت:(كيف أعاودك وهذا أثر فأسك).

١٤٨- لَوْ تُرِكَ القَطَا لَيْلاً لَنَامَ.

كان رجل من العرب يسمى عاطس بن خلاج سار إلى رجل يسمى الريان فى قبائل حمير وخثعم وهمدان وغيرهم ولقيهم الريان فى أربعة عشر حيا من أحياء اليمن، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم تحاجزوا، ولكن الريان هرب فى الليل مع أصحابه، وساروا يومهم وليلتهم حتى ظنوا أنهم قد بعدوا فعسكروا حيث وصلوا. وأصبح الصباح فغدا عاطس لقتالهم فلم يجدهم فى مكانهم، فجد فى طلبهم، ولم يزل حتى اقترب من المكان الذى عسكر فيه الريان، ونظر الريان وأصحابه فوجدوا القطا[1] يمر بهم

(١) القطا: نوع من الطير تأوى إلى أعشاشها إذا أقبل الليل.

طائرا فزعا، فصاحت ابنة الريان:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطا ليلا لناما

تحذرهم من أن الجيش الذى فروا منه قد تبعهم فأثار القطا النائم وجعله يفر.

والمراد بالمثل: أنه يقال فى الأمر الخفى قد ظهر ما يدل عليه

١٤٩ - لَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمانِي .

ربى رجل من العرب ابن أخت له حتى كبر وقوى واكتمل، فلما أحس الولد من نفسه القوة والقدرة، تنكر لمربيه وأخذ يرد جميله نكرانا وكفرا فقال الرجل:

فيا عجبا لمن ربيت طفلا   ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى

وهكذا يصنع من لا يثمر فيهم المعروف، فيسيئون إلى من أحسنوا إليهم.

ينقذ المرء الآخر من الورطة فينقلب عليه وينضم إلى أعدائه، ويرفع الرجل الرجل فيعمل على خفضه وازالته من أمامه.

وفى مثل هذه الأحوال يقال: (لما اشتد ساعده رمانى) أى جزانى على المعروف شرا، وعلى النعمة كفرانا.

١٥٠ - لأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ .

قتلت (الزباء) الملك جذيمة الأبرش.. بحيلة ماكرة.. ثأرا منه لأنه قتل أباها..

فتولى الملك بعده ابن أخته (عمرو بن عدى).. حيث عزم على الثأر لمقتل خاله من الزباء.

وكانت الزباء قد سألت كاهنا عن هلاكها فأخبرها انه سيكون على يد عمرو بن عدى.. فاحتاطت لذلك.

وأشار شخص من حاشية عمرو بن عدى يدعى (قصير).. عليه قائلا:

- اجدع أنفى.. وأضرب ظهرى بالسياط.. حتى يحدث آثارا ودعنى أذهب إليها.. ولما رفض عمرو.. أحدث قصير بنفسه ذلك.

ولأن العرب تعرف قصيرا ومكره.. وأنه ما صنع بنفسه ذلك إلا لأمر ما.. فصاروا يقولون: - لأمر ما جدع قصير أنفه.

ثم سار قصير إلى الزباء.. وأوهمها بأن عمرا غضب عليه.. ومازال بها حتى وثقت به.. وأخذ يحتال حتى أدخل عليها عمرا فقتلها.

والمراد بالمثل هو النية الماكرة التى تسترها الكثير من المظاهر.

١٥١- لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ .

و (عروس) هذا كان زوجا (لأسماء بنت عبد الله).. وكأن أيضا من قومها.. ومن أبناء عمومتها.. فلما مات.. زوجوها رجلاً من غير قومها يقال له (نوفل) وكان دميما.

ولما أراد هذا الزوج أن يرتحل إلى قومه ومعه زوجته.. استأذنت منه أن تقف على قبر ابن عمها وترثيه.. فأذن لها.. فأخذت ترثيه وتبكيه.. معرضة بزوجها الجديد ودمامته.. فغضب الرجل.. وواصل الارتحال بها.. وقد عرف ما تكن له.

ولاحظ الرجل أن المرأة غير معتنية به وبنفسها كما تصنع الزوجات.. حتى أوعية عطرها طرحتها جانبا.. ولم تلمسها.. فصاح بها زوجها قائلا:

- لماذا لا تتعطرين ؟ .. وأوعية عطورك لا تلمسينها. فقالت الزوجة فى أسف.

- لاعطر بعد عروس.. أ ى ليس هناك ما يدعو إلى التعطر والزينة.. بعد أن فقدت من كنت أتعطر وأتزين له.

والمراد من المثل.. لاعطر بعد عروس.. هو الاستصغار لكل امرىء دون صاحب الحب والوفاء. والمودة.

١٥٢- لا فِي الْعِيرِ وَلاَ فِي النَّفِيرِ.

كان (أبو سفيان بن حرب) قد أقبل من الشام يقود قافلة تجارية وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة.. فعلم بمقدمه فخرج مع أصحابه المسلمين ليعترضوا قافلة المشركين.. انتقاما منهم.

ولكن أبا سفيان تخوفا من المسلمين غير طريق القافلة بعيدا عن منطقة (بدر) حتى لايلتقى بالمسلمين.. ثم أرسل إلى قريش يستنجد بهم.

ومن ثم استطاع أبو سفيان النجاة بالقافلة.. ولما دخل مكة.. علم أن قريش قد خرجت بكل قوتها لملاقاة المسلمين.. فأرسل اليهم أن يعودوا.. فأبوا العودة إلا بعد تأديب المسلمين.

ولكن (بنى زهرة) حين عرفو بنجاه العير (أى القافلة) عادوا إلى مكة.. فصادفهم أبو سفيان وهم راجعون فقال لهم:

– يا بني زهرة.. لا فى العير.. ولا فى النفير.. أى لا فى العير (أى القافلة).. ولا فى النفير (أى النفرة إلى الحرب).

والمراد بالمثل: هوان قدر الرجل.. وتصغير شأنه.

١٥٣- لا نَاقَةَ لَهُ فِيها وَلا جَمَلُ.

نزلت يوما امرأة تسمى (البسوس) بناقتها.. إلى جوار (جساس بن مروة).. وكان من سادة قومه.

وبعد عدة أيام من إقامة البسوس.. دخلت ناقتها فى إبل (كليب بن وائل) فرماها بسهم فقتلها.

وكليب بن وائل كان سيد قومه فى الجاهلية.. وكان متجبرا قاسيا.. يأمر فلا يعصى.

ولما علم جساس بما صنع كليب.. ثار جساس لقتل ناقة امرأة نزلت فى حماه.. فتربص لكليب وقتله.. فثارت الحرب بين قوم كليب وقوم جساس.

وكان من قوم جساس رجل شجاع عاقل وماهر فى الحرب يسمى (الحارث بن عباد).. رفض مساعدة قومه فى الحرب.. حيث لم يعجبه أن يقتل كليب وهو سيد قومه فى ناقة.. وقال لن أشارك فى حرب (لا ناقتى فيها ولا جملى).

فصار المثل يضرب فى براءة الانسان من تهمه لا شأن له بها.. أو دعى إلى عمل لا يجنى من ورائه نفعا.

١٥٤- اللَّيْلُ أَخْفى لِلْوَيْلِ.

فى إحدى جلسات العرب.. وعلى أثر خلاف فى الرأى.. تعدى (ثور بن أبى سمعان) بالضرب على (توبة بن الحمير).. فأمر كبير الجلسة ثورابأن يجلس بين يدى توبة.. ليأخذ حقه منه.. ولكن توبة رفض القصاص منه حينئذ.

وتربص توبه بعد ذلك بثور.. حتى علم أنه ذهب عند رجل يدعى (سارية) يريد الماء.. فلما أراد الإنصراف.. حذره سارية قائلا له:

- أخرج فى الليل.. فانه أخفى للويل.. فلست آمن عليك من توبة.

فلما خرج فى الليل تبعه- رغم ذلك- توبه وقتله ثم قتل توبة بعد ذلك.. فصارت الليل أخفى للويل مثلا.

والمراد من المثل: افعل ما تريد ليلا.. فانه أستر لك ولسرك.

١٥٥- لَا تَعْدَمُ الْحَسْنَاءُ ذَامَاً.

قالت هذا المثل (حبى بنت مالك بن عمر العدوانية).. وكانت من أجمل النساء.. فخطبها ملك غسان من أبيها.. فلما هموا بأخذها إلى زوجها.. قالت أمها لبعض النساء اللاتى كن فى موكبها:

- عند ادخالها على زوجها فطيبنها برائحة عطرة.. فانها تزيد من الرغبة عند الملامسة.

ولكنهن أغفلن هذا الأمر.. ودخلت إلى زوجها من غير أن تتطيب.

فلما أصبح زوجها.. قيل له.. كيف وجدت أهلك ؟ قال:

- ما رأيت كالليلة قط.. لولا رويحة أنكرتها. وكانت (حبى) تسمع هذا الحديث من خلف سترها فقالت:

- لا تعدم الحسناء ذاما.. فصارت مثلا.

المراد من المثل: يضرب هذا المثل فى استحالة خلو البشر من العيوب والنقص.. والنقص جلاب للذم.

١٥٦ - لَوْ ذَاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي.

اعتدت امرأة من العرب على رجل فلطمته، فأحس الرجل بأن مصيبتين قد لحقتا به، أولاهما أن التى لطمته امرأة، والثانية أن تلك المرأة ليست بذات شأن، اذ ليست من أولئك اللاتى يلبسن الأساور، أو ليست من الحرائر لأن العرب كانوا قلما يسمحون للاماء بلبس الأساور[1].

وقد كانوا يحذرون الاهانة التى تبقى على الزمن وتظل حديث الأجيال، ويضعون أنفسهم فى المواضع التى يبقى فخرها ويسير ذكرها وان شقت، ففضل الشجاع الموت فى ساحة القتال على الموت فى فراشه، لأن الموت فى الفراش للجبناء الذين لا يخوضون الغمار.

وكره بعضهم الموت فى بيت لا يناسبه شرفه وبين قوم أقل منه حسبا ونسبا، فحين أدركه الموت وهو عائد إلى أهله كان فى منزل من يعدهم دونه شرفا، فلما تأكد أنه سيموت لم يؤلمه أن تدركه منيته بقدر ما آلمه أنه سيموت فى بيت امرأة من بنى سلول !

والمراد بالمثل: أنه إذا اجترأ الضعيف على القوى.. أو سب المهين الشريف.. أو تطاول الصغير على الكبير.. أو غلب العاجز ذا الحيلة.. عندئذ يقال: (لو أن ذات سوار لطمتنى).

(١) فمن كانت تلبس الأساور.. ذات مكانة عند العرب

١٥٧- لَا حُرَّ بِوادِي عَوْفٍ .

قيل أن بعض الملوك وهو عمرو بن هند.. طلب من عوف هذا رجلا وهو مروان بن القرظ.. وكان قد أجاره فمنعه عوف وأبى أن يسلمه.. فقال له الملك هذا المثل.. يريد أنه يقهر من حل بواديه.. فكل من فيه كان عبيد له عليهم طاعته.

١٥٨- مَا كَذَبَ مُذْ شُدَّ عَلَيْهِ إِزَارُهُ .

خرج عمر بن عبد العزيز مع سليمان يريد الصائفة، فألتقى غلمانه وغلمان سليمان على الماء فاقتتلوا، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان؛ فشكوا ذلك إلى سليمان، فأرسل إلى عمر فقال له: ضرب غلمانك غلمانى. قال: ما علمت، فقال له سليمان: كذبت، قال: ما كذبت مذ شددت على إزارى، وعلمت أن الكذب يضر أهله، وإن فى الأرض عن مجلسك هذا لسعة.

فتجهز يريد مصر، فبلغ ذلك سليمان فشق عليه، فدخلت فيما بينهما عمة لهما، فقال لها سليمان: قولى له: يدخل على ولا يعاتبنى، فدخل عليه عمر، فاعتذر إليه سليمان، وقال له: يا أبا حفص؛ ما اغتممت بأمر، ولا أكربنى هم إلا خطرت فيه على بالى، فأقام.

١٥٩- مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ .

أي: لم يضع الشبه في غير موضعه؛ لأنه ليس أحد أولى به منه بأن يشبهه، ويجوز أن يراد: فما ظلم الأب، أي: لم يظلم حين وضع حيث أدى إليه الشبه، وكلا القولين حسن.

وكتب الشيخ علي أبو الحسن علي الأديب البارع، وقد وفد إليه ابنه الربيع البارع: مرحبا بولده بل بولدي الظريف الربيع الوارد في الخريف.

كأنك قد قابلت منه سجنجلا فجاءك منه بالخيال المماثل
وما ظلم إذا أشبه أباه وإنما ظلمه أن لو كان أباه

١٦٠- مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ .

أول من قاله الشاعر طرفة بن العبد، حين كتب عمرو بن هند بقتله إلى عامله بالبحرين، وأوهمه بأنه كتب إليه بأن يصله، فقال طرفة يلوم أصحابه في خذلانهم له:

كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

١٦١- مَرْعىً وَلاَ كَالسَّعْدَانِ وَماءٌ وَلاَ كَصَدَى .

يضربان للرجل يحمد شأنه ثم يصير إلى أكثر منه وأعلى.

الأول منهما لامرأة من طيئ، وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكندي، وكان مفركا (مبغضا متروكا) فقال لها: أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت: (مرعى ولا كالسعدان). والمثل الآخر للقذور بنت قيس بن خالد الشيباني، وكانت زوجة لقيط بن زراره التميمي، ثم تزوجها بعده رجل من قومها، فقال لها: أنا أجمل أم لقيط ؟ فقالت: (ماء ولا كصدى)، أي أنت أجمل ولست مثله. وصداء (صدى) بئر لم يكن عندهم أعذب من مائها. والسعدان نبت من أفضل ما ترعاه الإبل.

١٦٢- مَنْ صَدَقَ اللهَ نَجَا .

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ؛ أنه قال: إن ثلاثة نفر انطلقوا

إلى الصحراء فمطرهم السماء، فلجئوا إلى كهف فى جبل ينتظرون إقلاع المطر، فبينما هم كذلك إذ هبطت صخرة من الجبل، وجثمت على باب الغار فيئسوا من الحياة والنجاة، فقال أحدهم: لينظر كل واحد منكم إلى أفضل عمل عمله فليذكره، ثم ليدع الله تعالى عسى أن يرحمنا وينجينا.

فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم إني كنت بارا بوالدى، وكنت آتيهما بغبوقهما فيغتبقانه، فأتيت ليلة بغبوقهما، فوجدتهما قد ناما، وكرهت أن أوقظهما، وكرهت الرجوع؛ فلم يزل ذلك دأبى حتى طلع الفجر؛ فإن كنت عملت ذلك لوجهك، فافرج عنا؛ فمالت الصخرة عن مكانها حتى دخل عليهم الضوء.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنى هويت امرأة، ولقيت فى شأنها أهوالا حتى ظفرت بها، ولكنى تركتها خوفا منك؛ فإن كنت تعلم أنه ما حملنى على ذلك إلا مخافتك فافرج عنا فأنفرجت الصخرة حتى لو شاء القوم أن يخرجوا لقدروا.

وقال الثالث: اللهم إنك تعلم أنى استأجرت أجراء، فعملوا لى فوفيتهم أجورهم إلا رجلا واحدا ترك أجره عندى، وخرج مغاضبا، فربيت أجره حتى نما وبلغ مبلغا، ثم جاء الاجير، فطلب أجرته؛ فقلت: هاك ما ترى من المال؛ فإن كنت عملت ذلك لك فأفرج عنا؛ فمالت الصخرة وانطلقوا سالمين ! فقال ﷺ: (من صدق الله نجا).

١٦٣ - مَهْلاً لَا تَزِدْنا تَضَعْضُعا .

خرج زيد بن شبيب الشيباني فى أيام عبد الملك بن مروان، فظفر به الحجاج وبأصحابه، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم، له سمت ورواء وهيئة.

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجة بالباب(فقال لحاجبه: ما هذه الضجة ؟

قال: نسوة فى الباب يسألن الدخول على الأمير. فقال الحجاج: ائذن لهن بالدخول؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة، كلهن أهل بيت الرجل الذى هم الحجاج بقتله، فقال لهن الحجاج: ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت: أصلح الله الأمير !إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول ! فقال لها: قولى ما أحببت، فقالت:

أحجاج إما أن تمن بتركه   علينا وإما أن تقتلنا معا
أحجاج لو تشهد مقام بناته   وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج لاتفجع به إن قتلته   ثمانا وتسعا واثنتين وأربعا
فمن رجل دان بقوم مقامه   علينا فمهلا لا تزدنا تضعضعا

فلان الحجاج لقولها، ووجد رقة عليهن، وعفا عنه وأطلقه، وزاد فى عطائه مائة دينار، وكتب كتابا إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها، وأنه قد رق لهن، وأطلقه وزاد فى عطائه مائة دينار.

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك، وأمره أن يزيده مائة أخرى فى عطائه.

١٦٤ - مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَهُ .

أول من قال ذلك عامر بن الظرب، وكان سيد قومه، فلما كبر وخشي عليه قومه أن يموت، اجتمعوا إليه وقالوا: إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا، فاجعل لنا شريفا وسيدا وقائلا بعدك، فقال: يا معشر عدوان، كلفتموني بغيا، إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسي، فأني لكم مثلي ؟ افهموا ما أقول لكم، إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق؛ يا معشر عدوان، لا تشمتوا بالذلة، ولا تفرحوا بالعزة، فبكل عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن ير يوما ير به، وأعدوا أمر جوابه، إن مع

السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة، ولليد العليا العاقبة، والقود راحة، لا لك ولا عليك، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئا وجده، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريبا منه.

١٦٥- مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ .

قال أبو عبيد: هو رجل من العماليق، أتاه أخ له؛ يسأله، فقال له عرقوب: (إذا طلعت هذه النخلة فلك طلعها). فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال: "دعها حتى تصير بلحا" فلما أبلحت قال: "دعها حتى تصير زهوا". فلما زهت قال: "دعها حتى تصير رطبا". فلما أرطبت قال: "دعها حتى تصير تمرا". فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجذها (قطعها) ولم يعط أخاه شيئا، فصار مثلا في الخلف. وفيه يقول الأشجعي:

وعدت وكان الخلف منك سجية   مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وقال آخر:

وأكذب من عرقوب ساكن يثرب   وأبين شؤما في الحوائج من زحل

ومن المعروف أن عرقوب كان من (يثرب) وهو موضع قريب من اليمامة (عاصمة البحرين الآن)، وليس (يثرب) مدينة النبى الكريم ﷺ.

١٦٦- مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ .

أى مات ولم يقتل.. وأصله أن يموت الرجل على فراشه فتخرج نفسه من أنفه وفمه.

قال خالد بن الوليد عندما حضرته الوفاة: لقد لقيت كذا وكذا زحفا.. وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنه أو رمية.. وها أنا ذا أموت حتف أنفى كما يموت العير.. فلا نامت أعين الجبناء.

١٦٧- كُلُّ شَاةٍ بِرِجْلِها مُعَلَّقَةٌ .

أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد، وكان ولي أمر البيت بعد جرهم، فبنى صرحا بأسفل مكة عند سوق الخياطين اليوم، وجعل فية أمة يقال لها حزورة، وبها سميت حزورة مكة، وجعل فى الصرح سلما، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي ربه، وكان ينطق بكثير من الخبر والحكم، وكان علماء العرب يزعمون أنه صديق من الصديقين ولما حضرته الوفاة جمع إيادا فقال لهم: اسمعوا وصيتى، الكلم كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فأرفضوه، وكل شاة برجلها معلقة، فأرسلها مثلا.

١٦٨- اَلْمَقَادِيرُ تُصَيِّرُ الْعَيِيَّ خَطِيباً .

وصف عند الحجاج، رجل بالجهل؛ وكانت له إليه حاجة، فقال فى نفسه: لأختبرنه! ثم قال له حين دخل عليه: أعصامى أنت أم عظامى ؟ فقال الرجل: أنا عصامى وعظامى. فقال الحجاج: هذا أفضل الناس، وقضى حاجته وزاده، ومكث عنده مدة.

ثم باحثه فوجده أجهل الناس، فقال له: اصدقنى وإلا قتلتك، قال له: قل ما بدا لك وأصدقك ! قال: كيف أجبتنى بما أجبت لما سألتك عما سألت ؟ قال له: والله

لم أعلم: أعصامى خير أم عظامى ! فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء فقلت: أقول كليهما، فإن ضرني أحدهما نفعنى الآخر: فقال له الحجاج عند ذلك: المقادير تصير العيى خطيبا !

١٦٩- النَّبْعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضاً .

يروى المثل لزياد ومعاوية.

وكان زياد على البصرة.. والمغيرة بن شعبة على الكوفة فتوفى بها.. فخاف زياد أن يولى مكانه عبد الله بن عامر.. الأمر الذى يكرهه زياد.. فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة.. ويشير عليه بتولية الضحاك بن قيس مكانه.

ولكن معاوية فطن إلى ما يريده زياد.. فكتب إليه:

- قد فهمت كتابك.. فليفرخ روعك أبا المغيرة.. لسنا نستعمل ابن عامر على الكوفة.. وقد ضممناها إليك مع البصيرة.

فلما ورد على زياد كتاب معاوية قال:

- النبع يقرع بعضه بعضا.

فذهب مثلا يضرب للمتكافئين فى الدهاء والمكر.

والنبع: من شجر الجبل.. وهو من أكرم العيدان.

١٧٠ - نَحْنُ قَوْمٌ نَفِي بِما عَقَدْنا .

أهدى معاوية إلى عبيد الله بن العباس حللا كثيرة، ومسكا وآنية من ذهب وفضة، ووجهها إليه مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو يطيل النظر فيها، فقال: هل فى نفسك منها شىء ؟ قال: نعم، والله إن فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف.

فضحك عبيد الله وقال: فشأنك بها، فهى لك. قال: جعلت فداك ! أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية؛ فيغضب لذلك. قال: فاختمها بخاتمك، وادفعها إلى الخازن، وهو يحملها إليك ليلا. فقال الحاجب: والله إن هذه الحيلة فى الكرماء أكثر من الكرم؛ ولوددت أنى لا أموت حتى أراك مكانه- يعنى معاوية.

فظن عبيد الله أنها مكيدة منه، فقال: دع هذا الكلام؛ إنا من قوم نفى بما عقدنا، ولا ننقض ما أكدنا.

١٧١ - نَبَحَتْنِي كِلاَبُكَ .

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان فأذن لها- وهو يومئذ بالمدينة- وعنده مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص- فدخلت عليه، وكانت امرأة قد أسنت، وعشى بصرها، وضعفت قوتها، ترعش بين خادمين لها، فسلمت وجلست، فرد عليها معاوية السلام. وقال: كيف أنت يا خالة؟ فقالت: بخير يا أمير المؤمنين! قال: غيرك الدهر. قالت: كذلك هو ذو غير، من عاش كبر، ومن مات قبر! قال عمرو بن العاص: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين:

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا	سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة	فاليوم أبرزه الزمان مصونا

قال عمرو بن العاص: وهى والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتى فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
فى كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا ! فقالت بكرة: نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتنى، فقصر محجنى، وكثر عجبى، وعشى بصرى.

وأنا والله قائلة ما قالوا، لا أدفع ذلك بتكذيب، وما خفى عليك منى أكثر، فامض لشأنك، فلا خير فى العيش بعد أمير المؤمنين، فضحك معاوية، وقال: ليس يمنعنا ذلك من برك. اذكرى حاجتك. قالت: أما الآن فلا.

١٧٢ - نَعِمَ كَلْبٌ فِي بُؤْسِ أَهْلِه.

يضرب مثلا للرجل ينتفع بضرر غيره، وأصله أن أعرابيا كان له بعير يكريه فينتفع بما يعود منه، وله كلب يقصر على إطعامه، وهو يتلف جوعا، فمات البعير، فدفع الرجل إلى سوء الحال والكلب إلى خصب، وقال الشاعر:

إن السعيد من يموت جمله يأكل لحما ويقل عمله

وهذا خلاف المثل الأول، يقول: إذا رآه يموت ذبحه فأكل لحمه واستراح من العمل. وأخذ المتنبي معنى المثل فقال:

بذا قضت الأيام بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

١٧٣ - النَّاسُ أَخْيَافٌ.

أي متفرقون فى أحسابهم وأخلاقهم. وأصله في الفرس تكون إحدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء، واسمه الخيف، واختلاف الناس في أخلاقهم وأفعالهم هو مما صنع لهم فيه، قالوا: لا يزال الناس بخير ما تباينوا- وقد تقدم ذكره- فإذا استووا هلكوا، لأن الغالب على الناس الشر، فإذا استووا إنما يستوون في الشر، قال الراجز:

الناس أخياف وشتى في الشيم   فكلهــم يجمعهــم بيت الأدم

أي يرجعون إلى آدم وآدم من الأرض. وقيل: بيت الأدم: بيت الإسكاف، فيه من كل جلد رقعة.

١٧٤ - أَنْصَحُ مِنْ شَوْلَةَ.

كانت شولة خادما فى دار من دور الكوفة.. وكانوا يرسلونها كل يوم تشترى بدرهم سمنا.. فبينما هى ذاهبة إلى السوق.. وجدت درهما.. فأضافته إلى الدرهم الذى كان معها واشترت بهما سمنا.. وعادت بالسمن إلى مواليها.. فضربوها وقالوا:

- أنت تأخذين كل يوم هذا المقدار من السمن فتسرقين نصفه.. فضرب بها المثل.. فقيل شوله الناصحة.

١٧٥ - نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصاماً.

كانت لرجل عند الحجاج حاجة.. ويعرف عن هذا الرجل صفة الجهل.. فقال الحجاج فى نفسه لأختبرنه.. فسأله عندما دخل عليه: أعصاميا أنت أم عظاميا؟..

يريد أشرفت أنت بنفسك ام تفتخر بآبائك الذين صاروا عظاما؟.. فقال الرجل: أنا عصامى وعظامى.. فقال الحجاج: هذا أفضل الناس.. وقضى حاجته وزاده.. ومكث عندة مده.

وفى أثناء اقامته فتش الحجاج فيه فوجده أجهل الناس.. فقال له: تصدقنى وإلا قتلتك.. قال له: قل ما بدا لك واصدقك.. قال له: كيف أجبتني بما أجبت لما سألتك؟.. قال الرجل: والله لم أعلم أعصامي خير أم عظامى.. فخشيت أن أقول أحدهما فأخطىء.. فقلت: أقول كليهما.. فإن ضرنى أحدهما نفعنى الآخر.. ففهمت أنت أننى افتخر بنفسى لفضلى وبآبائى لشرفهم.. وقال الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

١٧٦- النَّكْثُ فِي الْبَيْعِ خَيْرٌ مِنْ خِيَانَةِ الشَّرِيكِ.

جلس مالك بن طوق، فى شباك مطل على رحبته، ومعه جلساؤه، فأقبل أعرابى تخب به ناقته. فقال: إياى أراد، ونحوى قصد، ولعل منه أدبا ينتفع به. ثم أمر بإدخاله.

فلما مثل بين يديه قال: ما أقدمك يا أعرابى؟ قال: سيب الأمير، ورخاء نائله، قال: هل قدمت أمام رغبتك وسيلة؟ قال: نعم ! أربعة أبيات قلتها بظهر البرية، فلما رأيت ما بباب الامير من الهيبة والجلال استحقرتها واستصغرتها، قال: فهل لك أن تنشدنا أبياتك على أن نجيزك عليها ألف درهم، فإن كنت ممن أحسن ربحنا، وإلا نلت مرادك، وربحت ! قال: رضيت، وأنشده:

ومازلت أخشى الدهر حتى تعلقت	يداى بمن لا يتقى الدهر صاحبه
فلما رآنى الدهر تحت جناحه	رأى مرتقى صعبا منيعا مطالبه
رآني بحيث النجم فى الرأس باذخ	تظل الورى أكنافه وجوانبه
فتى كسماء الغيث والناس حوله	إذا قحطوا جادت عليهم سحائبه

فقال: والله ظفرنا يا أعرابى، ورزقنا الفلج عليك، والله ما قيمتها إلا عشرة آلاف درهم. قال: فإن لى صاحبا شاركته فيها، وما أراه يرضى بيعى.

قال: أتراك حدثتك نفسك بالنكث[1]؟ قال: نعم ! وجدت النكث فى البيع خيرا من خيانة الشريك، فأمر له بعشرة آلاف دينار.

١٧٧ - نِعْمَةُ عَدُوِّكَ قِلَادَةٌ فِي عُنُقِي .

أرسل المنصور إلى شيخ من أهل الشام- وكان من بطانة هشام بن عبد الملك بن مروان- فسأله عن تدبير هشام فى حروبه مع الخوارج، فوصف الشيخ له ما دبر، فقال: فعل- رحمه الله- كذا، وصنع-رحمه الله- كذا !فقال المنصور: قم عليك لعنة الله ! تطأ بساطى وتترحم على عدوى ! فقام الرجل، وقال- وهو مول: إن نعمة عدوك لقلادة فى عنقى لا ينزعها إلا غاسل.

فقال له المنصور: أرجع يا شيخ، فرجع، فقال: أشهدك أنك حر شريف، ارجع إلى حديثك. فعاد الشيخ إلى حديثه، حتى إذا فرغ دعا له بمال، فأخذه، وقال: والله يا أمير المؤمنين، مالى إليه حاجة، ولقد مات عنى من كنت فى ذكره، فما أحوجنى إلى الوقوف على باب أحد بعده، ولولا جلالة أمير المؤمنين وإيثارى طاعته ما لبست نعمة أحد بعده.

(١) النكث: الرجوع.

فقال المنصور: إذا شئت، لله أنت ! فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم مجدا مخلدا وعزا باقيا.

١٧٨- وَفَاءُ السَّمَوْءَلِ.

لما أراد امرؤ القيس المضى إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموءل دروعا وسلاحا وأمتعة، تساوى جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموءل، فقال السموءل: لا أدفعها إلا إلى مستحقها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئا؛ فعادوه، فأبى، وقال: لا أغدر بذمتى، ولا أخون أمانتى، ولا أترك الوفاء الواجب على.

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره، فدخل السموءل فى حصنه، وامتنع به، فحاصره ذلك الملك. وكان ولد السموءل خارج الحصن، فظفر به الملك وأخذه أسيرا، ثم طاف حول الحصن، وصاح بالسموءل، فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلما رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وهو ذا معي، فإن سلمت إلى الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك ذبحت ولدك وأنت تنظر ! فأختر أيهما شئت.

فقال له السموءل: ما كنت لأخفر ذمامى، وابطل وفائى؛ فاصنع ما شئت ! فذبح ولده، وهو ينظر. ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا، واحتسب السموءل ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة أمرئ القيس، سلم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه أحب إليه من حياة ولده وبقائه ! وقال فى ذلك:

وفيت بأدرع الكندى إنى   إذا مـا خان أقوام وفيت

١٧٩- وَامُعْتَصِمَاهُ.

وقف رجل على المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين؛ كنت بعمورية وجارية من أحسن النساء سيرة، قد لطمها علج فى وجهها، فنادت: وامعتصماه! فقال العلج: وما يقدر عليه المعتصم! يجئ على أبلق وينصرك! وزاد ضربها.

فقال المعتصم: وفى أى جهة عمورية؟ فقال له الرجل- وأشار إلى جهتها: هاهى ذى، فرد المعتصم وجهه إليها، وقال: لبيك أيتها الجارية، لبيك، وهذا المعتصم بالله أجابك، ثم تجهز إليها فى اثنى عشر ألف فرس أبلق، وحاصرها.

ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له: إنا نرى أنك ما تفتحها إلا فى زمان نضج العنب والتين، فشق عليه ذلك واغتم، وخرج ليلة مع بعض حشمه متجسسا فى المعسكر يسمع ما يقول الناس،فمر بخيمة حداد يضرب نعال الخيل، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة، وهو يضرب على السندان ويقول: فى رأس المعتصم! فقال له معلمه: اتركنا من هذا، مالك وللمعتصم! فقال: ما عنده تدبير، له كذا وكذا يوما على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها! لو أعطانى الأمر ما بات غدا إلا فيها.

فتعجب المعتصم مما سمع، وترك بعض رجاله موكلا به، وانصرف إلى خبائه، فلما أصبح جاءوا به، فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك؟ فقال الرجل:

حق، ولو وليتنى الحرب فإنى أرجو أن يفتح الله عليك، فقال: قد وليتك، وخلع عليه وقدمه على الحرب، ففتح الله عليه، ودخل المعتصم المدينة، ولم يثبت قول المنجمين.

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية، فقال له: سربى إلى الموضع الذى رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها، وقال لها: يا جارية، هل أجابك المعتصم؟ ثم ملكها العلج الذى لطمها، والسيد الذى كان يملكها وجميع ماله.

١٨٠- وَاهَا مَا أَبْرَدَها عَلى الْفُؤَاد .

لما بلغ معاوية مقتل توبة بن الحمير العقيلى.. قال: واها ما أبردها على الفؤاد.. ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل الشام.. إن الله تعالى قتل الحمار بعد الحمير.. وكفى المسلمين دراه.. فاحمدوا الله فإنها نغية كالشهد.. بل هى أنقع لذى الغليل من الشهد.. انه كان خارجيا تخشى بوائقه.. فقال همام بن قبيصة:

- يا أمير المؤمنين.. انه كفاك عمله.. ولم يرد حتى استكمل رزقه وأجله.. وكان والله لزاز حروب يكره القوم دراه.. فقال معاوية:

- اسكت يا ابن قبيصة.. ثم أنشد يقول:

فلا رقأت عين بكتــه ولا رأت سررا ولا زالت تهان وتحقر

فصارت مثلا يضربه المسرور للتعبير عن سروره.

١٨١- اَلْوِحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ .

قال الأحنف بن قيس: أتيت المدينة، فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يسرعون إلى رجل، فمررت معهم، فإذا أبو ذر الغفاري، فجلست إليه، فقال لي: من أنت؟ قلت: الأحنف، قال: أحنف العراق؟ قلت: نعم، قال لي: يا أحنف، الوحدة خير من جليس السوء أليس كذلك؟ قلت: نعم، قال: والجليس الصالح خير من الوحدة، أكذاك؟ قلت: نعم، قال: وتكلم بخير خير من أن تسكت، أكذلك؟ قلت: نعم، قال: والسكوت عن الشر خير من التكلم به، أكذلك؟ قلت: نعم، قال: خذ هذا العطاء ما لم يكن ثمنا لدينك، فإذا كان ثمينا لدينك فإياك وإياه ! وقال

الشاعر:

وحدة العاقل خير   من جليس السوء عنده
وجليس الصدق خير   من جلوس المرء وحده

١٨٢ - وَلَدك من دمى عَقِبَيْك .

ولدت امرأة الطفيل بن مالك.. عقيل بن الطفيل.. فتبنته كبشة بنت عروة.. فقدم عقيل على أمه يوما فضربته.. فجاءتها كبشة حتى منعتها.. وقالت: ابنى.. ابنى.

ولكن امرأة الطفيل استشاطت وقالت لكبشه:

- ابنك من دمى عقبيك.. أى من ولدته فهو ابنك.. لاهذا.. فرجعت كبشه وقد ساءها ما سمعت.. ثم ولدت بعد ذلك عامر بن كلاب.

١٨٣ - وَافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ .

كان شن رجلا من دهاة العرب وعقلائهم. وقال يوما: والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلى أتزوجها. فبينما هو فى بعض مسيره إذ واقفه رجل فى الطريق فسأله شن: أين تريد؟ فقال: موضع كذا- يريد القرية التى يقصدها شن- فوافقه، حتى إذا أخذا مسيرهما قال له شن: أتحملنى أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل، أنا راكب وأنت راكب، فكيف أحملك أو تحملنى ! فسكت عنه شن.

وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد؛ فقال شن: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فقال له الرجل: يا جاهل؛ ترى نبتا مستحصدا فتقول: أكل أم لا ! فسكت عنه شن.

حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك ! ترى جنازة تسأل عنها، أميت صاحبها أم حى ؟

فسكت شن وأراد مفارقته؛ فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه: وكان للرجل بنت يقال لها طبقة؛ فلما دخل عليها أبوها سألته عن؛ ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله، وحدثها بحديثه.

فقالت: يا أبت، ما هذا بجاهل ! أما قوله: أتحملنى أم أحملك، فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فأراد: هل بأعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا؟ وأما قوله فى الجنازة، فأراد: هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا!

فخرج الرجل فجلس إلى شن؛ فحادثه ساعة، ثم قال: أتحب أن أفسر لك ما سألتنى عنه؟ قال: نعم، ففسره. فقال شن: ما هذا من كلامك، فاخبرنى من صاحبه؟ قال: ابنة لى.

فخطبها إليه، فزوجه إياها، وحملها إلى أهله. فلما رأوها قالوا: وافق شن طبقة.

١٨٤ - هَذه بِتِلْكَ فَهَلْ جَزَيْتُكَ ؟!

رأى عمرو بن الأحوص.. يزيد بن المنذر- وهما من بنى نهشل- وهو يداعب امرأته.. فطلقها عمرو.. ولم يتنكر ليزيد.. بل ظل على صداقته.. حيث كان يزيد يستحى منه.

وذات يوم خرجا معا فى غزاه.. فترصد قوم عمرو به فطعنوه وأخذوا فرسه.. فحمل عليهم يزيد واستنقذه.. ورد عليه فرسه.. فلما ركب ونجا.. قال يزيد:

- هذه بتلك فهل جزيتك ؟.

١٨٥ - هامة اليوم أو غد

أي: هو ميت اليوم أو غدا. وقائله شتير بن خالد بن نفيل، قاله لضرار بن عمرو الضبي، وكان قد أسره فقال: اختر خلة من ثلاث، قال: اعرضهن علي، قال: ترد علي ابني الحصين، وهو ابن ضرار قتله عتبة بن شتير، قال: قد علمت أني لا احيي الموتى، قال: فتدفع إلي ابنك أقتله به، قال: لا ترضى بنو عامر أن يدفعوا إلي فارسا مقتبلا بشيخ أعور هامة اليوم أو غد، قال: فأقتلك، قال: أما هذه فنعم، قال: فأمر ضرار ابنه أن يقتله، فنادى شتير، يا آل عامر صبرا وبضبي ؟

١٨٦ - هَذه بِتِلْكَ وَالْبَادِئُ أَظْلَمُ .

أول من قاله قتيبة بن مسلم، وفي حديثه أن رجلا من بني سلول قدم على قتيبة بكتاب عامله على الري، وهو المعلى بن عمرو المحاربي، فرآه على الباب قدامة بن جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان صديقا لقتيبة، فدخل عليه وقال له: ببابك ألأم العرب، سلولي، رسول محاربي إلى باهلي، فتبسم قتيبة تبسما فيه غيظ، وكان قدامة بن جعدة يتهم بشرب الخمر، وكان الأقيشر ينادمه، فقال قتيبة: ادعوا لي سرداس بن جذام الأسدي، فدعي له، فقال له: أنشدني ما قاله الأقيشر في قدامة بن جعدة بن هبيرة، وهما بالحيرة،فقال:

رب نــدمــان كــريــم سـيــد ... ماجـد الجدين من فرعي مضر

قـد سقيت الكأس حتـى هـرمـا ... لـم يـخالـط صفوهـا منـه كدر

قلـت قـم صـل فصلـى قـاعدا ... تتـغـشــاه ســمـاديـر الـسـكــر

قرن الظهـر مـع العصـر كمـا ... تقـرن الحقـة بـالحـق الـذكـر

تـرك الـفـجـر فـمــا يقـرؤهـا ... وقــرا الكـوثـر مــن بيـن السـور

فتغير وجه قدامة وخجل، فقال له قتيبة (هذه بتلك والبادئ أظلم).

يضرب في حسن المجازاة.

وقيل إن أول من قاله الفرزدق الشاعر، وكان هجا جريرا فرد عليه، فقال هذه المقولة.

١٨٧ - هَنِيئًا مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ

اصله أن الشاعر كثير عزة كان في حلقة البصرة ينشد أشعاره، فمرت به عزة مع زوجها، فقال لها زوجها أعضيه، فاستحيت من ذلك، فقال لها: لتعضنه أو لأضربنك، فدنت فأعضته، وذلك أنها قالت كذا وكذا بفم الشاعر، فعرفها كثير، فقال:

يكلفها الخنزير شتمي وما بها   هواني ولكن للمليك استذلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر   لعزة من أعراضنا ما استحلت

١٨٨ - اَلْهَوَى الْهَوَانُ

أول من قال ذلك رجل من بني ضبة يقال له أسعد بن قيس، وصف الحب فقال: هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يرى، فهو كامن كمون النار في الحجر، إن قدحته أورى، وإن تركته توارى، وإن الهوى الهوان، ولكن غلط باسمه، وإنما يعرف ما أقول من أبكته المنازل والطلول. فذهب قوله مثلا.

١٨٩ - هَذَا الّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ .

حج هشام بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه، ومعه رؤساء أهل الشام، فجهد أن يستلم الحجر، فلم يقدر من ازدحام الناس، فنصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس، وأقبل على بن الحسين- وهو أحسن الناس وجها، وأنظفهم ثوبا، وأطيبهم رائحة- فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم، وأخلوا له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالا.

فغاظ ذلك هشاما، وبلغ منه، فقال رجل لهشام: ومن هذا؟ أصلح الله الأمير! قال: لا أعرفه- وكان به عارفاً- ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام، ويسمعوا منه، فقال الفرزدق- وكان لذلك كله حاضرا: أنا أعرفه، فسلنى يا شامى. قال : ومن هو؟ قال:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا التقى التقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها:	إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك: من هذا بضائره	العرب تعرف من أنكرت والعجم

فحبسه هشام فقال فى حبسه:

أتحبسنى بين المدينة والتى	إليها قلوب الناس يهوى منيبها !
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد	وعينا له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم، وقال: اعذر يا أبا فراس، فلو كان عندنا فى هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به. فردها، وقال: ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئا، فقال له على: نحن أهل بيت إذا أنفذنا شيئا ما نرجع فيه.

١٩٠- يا بَعْضِي دَعْ بَعْضاً .

أول من قال ذلك زرارة بن عدس التميمي، وذلك أن ابنته كانت زوجة سويد بن ربيعة، ولها منه تسعة بنين، وحدث أن سويدا قتل أخا لعمرو بن هند الملك، وهو صغير، ثم هرب فلم يقدر عليه عمرو، فأرسل إلى زرارة فقال: ائتني بولده من ابنتك، فجاء بهم، فأمر عمرو بن هند بقتلهم، فتعلقوا بجدهم زرارة، فقال: يا بعضي دع بعضا، فذهبت مثلا.

يضرب في تعاطف ذوي الأرحام.

وأراد بقوله: (يا بعضي) أنهم أجزاء ابنته وابنته جزء منه، وأراد بقوله: بعضا) نفسه، أي دعوا بعضا مما أشرف على الهلاك، يعني أنه معرض لمثل حالهم.

١٩١- اَلْيَوْمَ خَمْرٌ وَغَداً أَمْرٌ .

أي يشغلنا اليوم خمر، وغدا يشغلنا أمر، يعني أمر الحرب والأخذ بالثأر.

وهذا المثل لامرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر، ومعناه اليوم خفض ودعة وغدا جد واجتهاد. وكان أبو امرئ القيس حجر طرد امرأ القيس للشعر والغزل، وكانت الملوك تأنف من قول الشعر، فلحق امرؤ القيس بدمون من أرض اليمن، فلم يزل بها حتى قتل أبوه، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بقتل أبيه، فقال امرؤ القيس: ضيعني صغيرا، وحملني دمه كبيرا، لا صحو اليوم، ولا شرب غدا، اليوم خمر وغدا أمر، فذهب قوله مثلا.

١٩٢ - يَا حَبَّذَا الْإِمَارَةُ وَلَوْ عَلى الْحِجَارَةِ .

قاله عبد الله بن خالد بن أسيد حين قال لابنه: ابن لي دارا بمكة، واتخذ فيها منزلا لنفسك، ففعل، فدخل عبد الله الدار فإذا فيها منزل قد أجاده وحسنه بالحجارة المنقوشة، فقال: لمن هذا المنزل؟ قال ابنه: المنزل الذي أعطيتني، فقال عبد الله: يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة.

١٩٣ - يَحْلَمُونَ إِنْ غَضِبُوا .

اعترض هارون الرشيد قينة فغنت:

ما نقموا من بنى أمية إلا　　　أنهم يحلمون إن غضبوا

فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد، وعلمت أنها قد غلطت، وأنها إن مرت فيه قتلت، فغنت:

ما نقموا من بنى أمية إلا　　　أنهم يجهلون إن غضبوا

وأنهم معدن النفاق فما　　　تفسد إلا عليهم العرب

فقال الرشيد ليحيى بن خالد- وكان حاضرا: أسمعت يا أبا على ؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ تبتاع، وتسنى لها الجائزة، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها؛ قال: ذلك جزاؤها، قومى فأنت منى بحيث تحبين. فقال يحيى:

جزيت أمير المؤمنين بأمنها　　　من الله جنات تفوز بعدنها

١٩٤ - يَا عَمَّاهُ، هَلْ كُنْتَ أَعْوَر قَطُّ ؟!

قالها صبى كان لأمه عشيق يحضر إليها.. فكان إذا أتاه غمض إحدى عينيه لئلا يعرفه الصبى إذا رآه فى أى مكان آخر.. فرفع الصبى أمر ذلك الرجل إلى أبيه.. فقال أبوه: هل تعرفه يا بنى إذا رأيته؟ .. قال: نعم.. فانطلق به إلى مجلس الحى.. فقال: انظر أى من تراه.. فتصفح وجوه القوم حتى وقع بصره عليه فعرفه بشمائله.. وأنكره لعينيه.. فدنا منه وقال له: يا عماه هل كنت أعور قط ؟ .. فذهبت مثلا.

يضرب المثل لمن يستدل على بعض أخلاقه بهيئته وشارته.

١٩٥ - يَحْلِبِ ابْنِيَ وأَشُدُّ عَلى يَدَيْهِ .

يضرب لمن يفعل الفعل وينسبه إلى غيره.

وأصل هذا أن امرأة بدوية احتاجت إلى لبن، ولم يكن عندها من يحلب لها شاتها أو ناقتها، والنساء لا يحلبن بالبادية، لأنه عار عندهن، إنما يحلب الرجال، فدعت بنيا لها، فأقبضته (وضعت قبضته) على خلف الشاة، وجعلت هي كفها فوق كفه، فقالت: يحلب ابني وأشد على يديه، ويروى (وأضب على يديه) والضب: الحلب بأربع أصابع.



القسم الثانى

وراء كل مثل حكمة

١ - إنّ أخَاكَ مَنْ آساكَ .

معنى المثل أن أخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه.. ويضرب فى الحث على مراعاة الأخوان.

٢ - إنَّ وَرَاءَ الأكَمَةِ مَا وَرَاءَهَا .

وعدت امرأة صديقها أن تأتيه وراء الأكمة عندما تفرغ من العمل.. ولكن اهلها شغلوها باعمال كثيرة.. فقالت حيت غلبها الشوق.. حبستمونى وإن وراء الاكمة ما وراءها.

يضرب لمن يفشى على نفسه امرا مستورا.

٣- إذَا جَاءَ الْحَيْنُ حَارَتِ الْعَيْنُ .

قال نافع الأزرق لابن عباس: إنك تقول إن الهدد إذا نقر الأرض عرف مسافة ما بينه وبين الماء.. وهو لا يبصر شيئا.. فقال:

إذا جاء القدر عمى البصر.

٤ - أخَذَتِ الأرْضُ زخاريها .

وذلك إذا طال النبت والتف وخرج زهره.. ومكان زخارى النبات إذا كان نبته كذلك من قوله زخر النبت.. قال ابن مقبل:

زخارى النبات كأن فيه		جياد العبقرية والقطوع

يضرب لمن صلح حاله بعد فساد.

٥- أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَشَرِبَ .

يضرب لمن طال عمره يريدون أكل وشرب دهرا طويلا.. وقال:

كم رأينا من اناس قبلنا		شرب الدهر عليهم وأكل

٦- إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ .

لأن للعالم تبعا فهم به يقتدون به.. قال الشاعر:

إن الفقيه إذا غوى وأطاعه		قوم غووا منه فضاع وضيعا

مثل السفينة إن هوت فى لجة		تغرق ويغرق كل ما فيها معا

٧- أَخُوكَ أَمِ الذِّئْبُ ؟!

أى هذا الذى تراه أخوك أم الذئب.. يعنى أن أخاك الذى تختاره مثل الذئب فلا تأمنه.. يضرب فى موضع التمارى والشك.

٨- إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَاحْلِبْ فِي إِنَائِهِمْ .

يضرب المثل فى الأمر بالموافقه.

٩- إِنَّ غَدَاً لِنَاظِرِه قَرِيبٌ .

ويقال لمن ينتظر الغد.. ويقال نظرته أى إنتظرته.. وأول من قال ذلك قراد بن أجدع.

١٠- إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهْراً أَبْقَى .

المنبت المنقطع عن أصحابه فى السفر.. والظهر الدابة.. قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد فى العبادة حتى غارتا عيناه.. فلما رآه قال له إن الدين متين فأوغل فيه برفق.. يضرب لمن يبالغ فى طلب الشىء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه.

١١- إِنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لَاقَيْتَ إِعصاراً .

قال أبو عبيده: الاعصار ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض.. يضرب مثلا.. يضرب مثلا للمعجب بنفسه إذا صدم بمن هو أدهى منه وأشد.

١٢- أنا ابنُ جَلاَ .

ابن جلا: هو النهار.. ويضرب المثل للمشهور والعلم.. يقول الرياحي:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايـا   متى أضع العمامة تعرفونى

وتمثل به الحجاج على منبر الكوفة.

١٣- إنّ للهِ جُنُوداً مِنْها الْعَسَلُ .

قال ذلك معاوية لما سمع أن الأشتر سقى عسلا فيه سم فمات.. يضرب المثل عند الشماته بما يصيب العدو.

١٤- إنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ يُفْلَحُ .

الفلح: الشق.. ومنه الفلاح للحراث.. لأنه يشق الأرض.. أى يستعان فى الامر الشديد بما يشاكله ويقاومه.

١٥- إنَّ الْبُغاثَ بِأَرْضِنا يَسْتَنْسِرُ.

البغاوث هو نوع من الطير دون الرخمة.. واستنسر صار كالنسر فى القوة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

يضرب للضعيف يصير قويا وللذليل يعز بعد الذل.

١٦- إنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْثَأُ الْغَضَبَ.

الرثيئة اللبن الحامض.. والغثأ التسكين.. وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم.. وكان مع سخطه جائعا.. فسقوه الرثيئة فسكن غضبه.

يضرب المثل فى الهدية تأتى بالوفاق.. مهما كانت قليلة.

١٧- إنْ تَرِدِ الْماءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ.

يعنى أن ترد الماء ومعك ماء.. إن احتجت إليه كان معك خير لك من أن تفرط فى حمله.. ولعلك تجد ماء غيره.

١٨- إيّاكُمْ وَخَضْراءَ الدِّمَنِ.

قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقيل له وما ذاك يا رسول الله.. فقال المرأة الحسناء فى منبت السوء.

١٩- أَلا مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ ؟!

يضرب لمن غمط النعمة.. أى أنكرها.

٢٠- أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي .

قال هذا المثل عبد الله بن الزبير.. حيث بويع بالخلافة.. وقبل أن يقتله الحجاج الثقفى فى مكة سنة ٦٤هـ.

٢١- أَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا .

أى أنهم أعلم بطرقها ودروبها.. والمقصود من المثل أن الإنسان وحدة يدرى بأحوال وظروف حياته دون غيره.

٢٢- بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبى .

هى جمع زبية.. وهى حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده.. وأصلها الرابية لا يعلوها الماء.. فإذا بلغها السيل كان جارفا مجحفا.. يضرب لما جاوز الحد.

٢٣- بِكُلِّ وَادٍ أَثَرٌ مِنْ ثَعْلَبَةَ .

هذا من قول ثعلبى.. رأى من قومه ما يسوؤه.. فانتقل إلى غيرهم.. فرأى منهم أيضا مثل ذلك.

٢٤- بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ .

يضرب هذا المثل عند ظهور الشرين بينهما تفاوت.. وهذا المثل مأخوذ من قول

الشاعر طرفة بن العبد حين أمر النعمان بقتله فقال:

أبا منذر أفنيــت فاستبـق بعضنــا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

٢٥- بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ.

قولهم بالرفاء.. دعاء بالاتفاق وحسن الحال.. ومنه رفء الثوب.. قال أبو خراش:

رفونى وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

٢٦- بِالسَّاعِدَيْنِ تَبْطِشُ الْكَفَّانِ.

يضرب فى تعاون الرجلين وتساعدهما وتعاضدهما فى الأمر.

٢٧- بِحَمْدِ اللهِ لَا بِحَمْدِكَ.

هذا من كلام عائشة رضى الله عنها حين بشرها النبى صلى الله عليه وسلم بنزول آية الافك.. والباء فى بحمد الله من صلة الاقرار.. أى أقر بأن الحمد فى هذا لله تعالى.

٢٨- اَلْبَلاَيَا عَلى الْحَوَايَا .

البلايا تساق إلى أصحابها على الحوايا.. أى لا يقدر أحد أن يفر مما قدر له.

٢٩- تَجُوعُ الْحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا .

أى لا تفرط فى شرفها مهما آذاها الجوع.. ولا تأكل بثدييها.

٣٠- اِتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْه .

هذا قريب من قولهم سمن كلبك يأكلك.

٣١- ثَارَ حَابِلُهُمْ عَلى نَابِلِهِمْ .

الحابل صاحب الحبالة.. والنابل صاحب النبل أى أختلط امرهم.. يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم.

٣٢- ثُلَّ عَرْشُهُ .

أى ذهب عزه وساءت حاله.. يقال ثللت الشىء إذا هدمته وكسرته.

٣٣- ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ .

يضرب المثل لمن يطلب ما لا نفع له فيه.

٣٤- جَاؤوا بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ .

أى كلهم.. وحدانا وجماعات.. فالقض عبارة عن الواحد والقضيض عبارة عن الجمع.

٣٥- جَدُّكَ لا كَدُّكَ .

يروى بمعنى جدك يغنى عنك لا كدك.. فابغ جدك لا كدك.

٣٦- جَدَّةٌ تَقْضِي الْعِدَّةَ .

يضرب للشيخ يتصابى.

٣٧- حَلَبَ الدَّهْرُ أَشْطُرَهُ .

أى اختبر الدهر شطرى خيره وشره فعرف ما فيه.. يضرب فيمن جرب الدهر.

٣٨- حَبْلُكِ عَلى غارِبِكِ .

كناية عن الطلاق.. أى إذهبى حيث شئت.

٣٩- اَلْحَرْبُ خدْعَةٌ .

أى أنها تخدع الرجال.

٤٠- أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا .

أى أحببه حبا هونا أى سهلا يسيرا.. فلا تطلعه على جميع أسرارك فلعله يتغير يوما عن مودتك.

٤١- اَلْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلُ لَجْلَجُ .

يعنى أن الحق واضح.

٤٢- اَلْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ مَسَّهُ الضُّرُّ .

فمهما تنكرت الأيام للأصيل فلن يضار أبدا.

٤٣ - اَلْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهُولِ .

أى الحليم يتوطأ للجاهل فيركبه بما يريد فلا يجازيه عليه كالمطية.. يضرب فى احتمال الحليم.

٤٤ - الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمانِ .

هذا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم.

٤٥ - خَالِفْ تُذْكَرُ .

أول من قال هذا المثل الحطيئة.

٤٦ - خَيْرُ مَالِكَ مَا نَفَعَكَ .

خير المال ما أنفقه صاحبه فى حياته.. كما قالوا لم يضع من مالك ما وعظك.

٤٧ - خَلاَ لَكِ الْجَوُّ فَبيضِي وَاصْفِرِي .

يضرب فى الحاجة التى يتمكن منها صاحبها.

٤٨- خَيْـرُ الْأمُورِ أوْساطُها .

يضرب فى التمسك بالاقتصاد.

٤٩- خَيْـرُكُمْ خَيْـرُكُمْ لأهْلِه .

وهذا يروى عن حديث مرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم.

٥٠- أَخْسَرُ مِنْ حَمَّالَةِ الْحَطَبِ .

هى أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب المذكورة فى سورة الجسد.

٥١-خُذِ الْقَليلَ مِنَ اللَّئيمِ وَذُمَّهُ .

يقصد أن اللئيم والبخيل لا يستحقان الشكر.

٥٢- الدِّينُ النَّصيحَةُ .

وهو من أصل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم.. والنصيحة لأئمة المسلمين أن لا يشق عصاهم.. وأن تصفو قلوبهم.

٥٣- دُونَهُ بِيضُ الأَنُوقِ .

الأنوق: طائر الرخمة التى تتفنن فى اخفاء بيضها.

ويضرب المثل للشئ يتعذر وجوده.

٥٤- دَعِ الْعَوْرَاءَ تَخْطَأكَ .

العوراء: الخصلة القبيحة.. أو الكلمة الشنيعة.. أو التصرف السىء.. فدعه يخطأك.. أى يتجاوزك.

٥٥- الَّدالُّ عَلى الْخَيْرِ كَفاعِلِهِ .

يروى هذا المثل فى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم.. وقيل أول من قاله اللجيج.. وقيل أكثم بن صيفى.

٥٦- أَدْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ .

هو سيد عبس.. وذكر من دهائه الكثير.. ومشهور عنه قولته لقومه:

أربعة لا يطاقون.. عبد ملك.. ونذل شبع.. وأمة ورثت.. وقبيحة تزوجت.

٥٧- ذَهَبَ أَمْس بِمَا فِيه .

قال ذلك ضمضم بن عمرو اليربوعى.. بعد أن قتل ابن عمه.. وعندما قيل له: لم قتلت ابن عمك ؟ قال: ذهب أمس بما فيه.

٥٨- الذِّلَّةُ مَعَ الْقِلَّة .

أى أن الذل مع الفقر.. والذلة: الذل.. والقلة: الفقر.. وقد يقصد بالقلة هنا قلة العدد.

٥٩- ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْه الثَّعالِبُ .

فقد رأى أعرابي يوما الثعلب يبول على صنم يعبده.. فأنشد:

أرب يبـول الثعلبـان بـرأسـه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم ترك عبادة الصنم..

٦٠- رَمَاهَ اللهُ بِثَالَثِة الأَثافِي .

الأثفية: ثلاثة أحجار من الجبل توضع جنبا إلى جنب.. وينصب عليها القدر.. فإذا رماه بالثالثة فقد بلغ النهاية.. ويضرب المثل لمن يضرب بداهية عظيمة.

يقول بديع الهمذانى فى المقامات:

ولى جسم كواحدة المثانى   لـه كبـد كثالثـة الأثافى

٦١- رُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ .

إن أخاك الحق من كان معك ومــن يضــر نفسه لينفعــك

إذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون اياك أن يــضـرب لســانــك عنقــك

ومثله: إن أخاك من آساك.. أى قاسمك وشاركك وعاونك ويعنى به الصديق.. فإنما يكون أشفق على الأخ من الأب والأم.

٦٢- رُبَّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلاتٍ .

يضرب فى ذم الحرص على الطعام.. ومدى ما يصيب الإنسان من أضرار.

٦٣- رَمَى الْكَلاَمَ عَلى عَوَاهِنِهِ .

إذا لم يبال أصاب أم أخطأ.. والعواهن من العهن المنفوش.

٦٤- رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ .

يضرب عند الكلام يكون أكثر تأثيرا من الأفعال ذاتها.. وقد يضرب المثل أيضا فيما يمس الشرف والعرض.

٦٥- رِيحُهُما جَنُوبٌ .

يضرب للمتصافين عند تكدر حالهما

لعمرى لئن ريح المودة أصحبت شمالا لقـد تبدلت وهـى جنوب

٦٦- رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَاب .

يضرب عند القناعة بالسلامة.. يقول امرؤ القيس:

وقد طوفـت فـى الآفاق حتـى رضيت لدى القناعة بالسلامة

٦٧- رُبَّ عَيْنٍ أَنَمُّ مِنْ لِسَانٍ .

فقد تفضح العين أكثر مما يفضحه اللسان.. حتى قيل ما هو بزنا العين.

٦٨- زَادَ فِي الطُّنْبُورِ نَفْخاً .

يضرب المثل لمن يزيد فى الأمر أكثر مما هو فيه.

٦٩- سَحَابُ الصَّيفِ عَنْ قَلِيلٍ يَنْقَشِعُ .

يضرب المثل فى انقضاء الشىء بسرعة.. ويدل على عمق الصفاء.. الذى لا تطول السحب فى تعكيره.

٧٠- سَوَاءٌ قَوْلُهُ وَبَوْلُهُ .

فمن الناس من لا يحسنون الكلام والحديث.. فيبدو من كلامهم قبح منظرهم وكأنهم يتبولون.

٧١- أَسمَعُ جَعْجَعَةً وَلاَ أَرَى طِحْناً .

الجعجعة: هى صوت الرحى.. والطحن: هو الدقيق الذى يتم طحنه.. والمعنى أسمع جلبة ولا أرى عائدا.

٧٢- أَسْخَى مِنْ حَاتِمِ الطَّائِيِّ .

وهو من ضرب به المثل فى الكرم والعطاء.. والمثل للمبالغة فيهما.

٧٣- الشَّرُّ يَبْدَؤُهُ صِغَارُهُ .

فاصفح واحتمل.. لئلا يخرج الشر إلى أكثر منه.

٧٤- شَرُّ الْبَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ .

أحيانا قد يقابل شر البلاء بالضحك.. كحالة نفسية هستيرية.

٧٥- شَرُّ إِخْوَانِكَ مَنْ لاَ تُعَاتِبُ .

أن تعاتب أخاك خير من أن تفقده.. أما الشرير من أخوانك فهو من لا تعاتب أى لا تعاتبه.

٧٦-صَدْرُكَ أَوْسَعُ لِسِرِّكَ .

يضرب المثل فى الحث على كتمان السر.

٧٧- ضَرَبَ أَخْماساً لأَسْدَاسٍ .

الأصل أن الرجل إذا أراد سفرا بعيدا عود إبله أن تشرب خمسا.. ثم سدسا.. حتى إذا أخذت فى السير صبرت عن الماء.

ويضرب المثل لمن يظهر شيئا ويريد غيره.

٧٨- ضَرَبَهُ ضَرْبَ غَرَائِبِ الإِبِلِ .

يضرب المثل فى دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن.

٧٩- طَرْفُ الفَتَى يُخْبِرُ عَنْ لِسَانِهِ .

يمعنى أن حديث الإنسان يخبر عن معدنه وطبيعته وضميره.

٨٠- الطُّيُورُ على أَشْكَالِها تَقَعُ .

يضرب هذا المثل لأناس يتخذون أصدقاءهم مثلهم.. أخيارا أو أشرارا.. مثل المرء بخليله.. وقل لى من صديقك أقل لك من أنت.

٨١- عَاقَنِي الْمَطَرُ عَنِ الْوَتَرِ .

يضرب المثل لمن يتعذر بأنفه الأسباب لعدم الوفاء.

٨٢- أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ .

أى من حذرك ما يحل بك فقد أعذر إليك أى صار معذورا عنك.

٨٣- أَعَزُّ مِنْ كُلَيبِ وَائِلٍ .

هو كليب بن ربيعة.. سيد قومة فى زمانه بلغ من عزه أنه كان يحمى الكلأ فلا يقرب حماه.. ولا يتكلم أحد فى مجلسه.. وغيره.

٨٤- فِي الْعَافِيةِ خَلفٌ مِنَ الرَّاقِيةِ .

أى من عوفى لم يحتج إلى راق وطبيب.

٨٥- فَمٌ يُسَبِّحُ وَقَلْبٌ يُذَبِّحُ .

كناية عن أختلاف المظهر عن الجوهر.

٨٦- قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ .

أى انقلب عما كان عليه من وده.. والمجن: الترس.

٨٧- قَضَى نَحْبَهُ .

ومعناه قضى نفسه أى مات.. والنحب: الخطر العظيم.

٨٨- كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ .

يضرب مثلا للساكن الوادع.

٨٩- كَالْقَابِضِ عَلَى الْمَاءِ .

يضرب لمن يرجو ما لا يحصل.

٩٠- كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ.

يضرب فى الخلتين من الإساءة تجتمعان فى المرء.

٩١- كَمَا تَدِينُ تُدَانُ .

أى كما تجازى تجازى.. إن حسنا فحسن.. وإن سيئا فسيىء.

٩٢- كَلَّفْتَنِي مُخَّ الْبَعُوضِ .

يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة.

٩٣- لَا أُعَلِّقُ الْجلجلَ فِي عُنُقِي .

أى لا أشهر نفسى ولا أخاطر بها بين القوم.

٩٤- لا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ .

يضرب لمن يمتهن جديده فيؤمر بالتوقى عليه بالخلق.

٩٥- لَا يَنْفَعُ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ .

ويقوله البعض لا ينفع حذر من القدر.. لأنه واقع واقع.

٩٦- لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ .

يراد به أن لكل أمر أو فعل أو كلام موضعا لا يوضع فى غيره.

٩٧- لِكُلِّ جَوَادٍ كَبْوَةٌ وَلِكُلِّ سَيْفٍ نَبْوَةٌ .

يضرب للدلالة على أن الإنسان مهما علا فلابد له من سقطة.

٩٨- مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ .

المثل يضرب فى خذلان الصاحب صاحبه.. وأول من قاله الشاعر طرفة بن العبد.. وأيضا قال أروغ من ثعلب.. فى نفس المعنى.. فانشد يقول:

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة

٩٩- مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ .

أى مات ولم يقتل.. وأصله أن يموت الرجل على فراشه فتخرج نفسه من أنفه وفمه.

١٠٠ - اَلْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ .

معناه أنك منسوب إلى خليلك.. فانظر من تخالل.

١٠١ - هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ .

الهدنة والمهادنة: المصالحة.. والدخن: تغير الطعام وغيره مما يصيبه من الدخان.. واستعير الدخان لفساد الضمائر والنيات.

١٠٢ - يَكْسُو النَّاسَ وَاِسْتُهُ عَارِيَةٌ .

يضرب المثل فى بعض الناس يفضل الغير على نفسه.

١٠٣ - يُصْبِحُ ظَمْآنَ والْبَحرُ فِي فَمِهِ .

يضرب المثل فى البخل الشديد.

١٠٤ - يَدَاكَ أَوْكَتا وَفُوكَ نَفَخَ .

قاله رجل لرجل آخر تسبب فى غرق نفسه فى البحر.. فيضرب المثل لمن يجنى على نفسه.

المراجع

١- مجمع الأمثال: الميدانى القاهرة ١٣١٠ هـ

٢- أمثال العرب: المفضل الضبى

٣- الأمثال العربية القديمة للمستشرق رودلف زلهايم ترجم د. رمضان عبد التواب/ بيروت ١٩٧٠.

٤- كتاب الأمثال: مؤرج بن عمرو السدوسى تحقيق وتقديم د. رمضان عبد التواب الهيئة المصرية للكتاب /القاهرة ١٩٧٠.

٥- جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكرى/ القاهرة ١٩٦٤.

٦- العقد الفريد: ابن عبد ربه.

٧- الأغانى: أبو الفرج الأصفهانى.

٨- قصص العرب: محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى.

٩- المختار من أمثال العرب: عبد السلام العشرى.

١٠- لآلىء لأمثال: رحاب عطاوي دار الفكر العربي بيروت.

١١- لآلىء الحكم: رحاب عطاوي دار الفكر العربي بيروت.

الفهــرســت